(١٢) من تراث الكوثري

دفع شبهة التشبيه

تأليف

الإمام عبد الرحمن أبي الحسن الجوزي

المتوفى عام ٥٩٧ هـ

تحقيق وتعليق

محمد زاهد الكوثري

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

☎ ٥١٢٠٨٤٧

(١٢) من تراث الكوثري

دفع شبهة التشبيه

تأليف

الإمام عبد الرحمن أبي الحسن الجوزي

المتوفى عام ٥٩٧ هـ

تحقيق وتعليق

محمد زاهد الكوثري

الناشر

المكتبة الأزهرية للتراث

٩ درب الأتراك خلف الجامع الأزهر الشريف ت : ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

﴿ هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هنَّ أمُّ الكتاب وأُخر متشابهات فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون فى العلم يقولون آمنا به ﴾

الحمد لله الذى هدانا صراطاً مستقيماً بالإقرار الخالى عن التشبيه والتعطيل والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى نهى عن عبادة الأصنام والتماثيل .

أما بعد فهذا كتاب لابن الجوزى حجبه عنا هذه البرهة - بل عن كثير من المتخصصين فى معرفة المؤلفات العربية - فئة من أشياع الذين رد عليهم المصنف عملت على محو اسمه ورسمه ؛ قد حملنى على طبعه انتشار كتب المشبهة - مخطوطها ومطبوعها - فى الناس ، واشتغال بعض المؤلفين بالدعوة إلى التشبيه حتى اليوم والحرص على نشر تصانيف ابن الجوزى النافعة وكتب الردود الماتعة .

وقد علق عليه الأستاذ الشيخ محمد زاهد الكوثرى - نزيل القاهرة - أدام الله النفع به .

قال الشيخ الإمام الحافظ العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزى الصديقى البكرى :

اعلم وفقك الله تعالى أننى لما تتبعت مذهب الإمام أحمد رحمه الله تعالى رأيت الرجل كبير القدر فى العلوم ، قد بالغ فى النظر فى علوم الفقه ومذاهب القدماء حتى لا تأتى مسألة إلا وله فيها نص أو تنبيه ، لكنه على طريق السلف فلم يصنف إلا المنقول فرأيت مذهبه خالياً من التصانيف التى كثر جنسها عند الخصوم ، فصنفت تفاسير مطولة : منها « المغنى » مجلدات و « زاد المسير » و « تذكرة الأريب » وغير ذلك .

وفى الحديث كتبا : منها « جامع المسانيد » و « الحدائق » و « نقى النقل » وكتباً كثيرة فى الجرح والتعديل .

وما رأيت لهم تعليقة فى الخلاف ، إلا أن القاضى (أبا يعلى) قال : كنت أقول ما لأهل المذاهب يذكرون الخلاف مع خصومهم ولا يذكرون أحمد [1] ثم عذرتهم إذ ليس لنا تعليقة فى

---

(١) كان الإمام أحمد رضى الله عنه لزم الإمام أبا يوسف فى بدء أمره ، كماحكي ذلك عنه يحيى بن معين حيث يقول فى كتابه ـ معرفة التاريخ والعلل (رواية أبى العباس الأصم عن أبى الفضل العباس بن محمد الدورى عنه) ـ : سمعت أحمد بن حنبل يقول : اختلفت إلى أبى يوسف ثم اختلفت إلى الناس بعده ا هـ . وكان يشتغل بكتب محمد بن الحسن ويستفيد منها أجوبة دقيقة ، على ما رواه الخطيب بإسناده إلى الحربى عنه ، وصحب كثيراً من فقهاءالعراق ، وجالس الشافعى فى قدمته الثانية ببغداد بعد وفاة محمد، فصار له من الفقه حظ وافر ، ومع هذا كله كان الغالب عليه وعلى أصحابه رواية الحديث ، ولم =

الفقه ، قال فصنفت لهم تعليقة .

قلت وتعليقته لم يحقق فيها بيان الصحة والطعن فى المردود وذكر فيها أقيسة طردية ، ورأيت من يلقى الدرس من أصحابنا يفزع إلى تعليقة الاصطلام أو تعليقة أسعد أو تعليقة العاملى أو تعليقة الشريف ، ويستعير منها استعارات ، فصنفت لهم تعاليق : منها كتاب « الإنصاف فى مسائل الخلاف » ومنها « جنة النظر وجُنة الفطر » ومنها « عمدة الدلائل فى مشهور المسائل » .

ثم رأيت جمع أحاديث التعليق التى يحتج بها أهل المذاهب وبينت تصحيح الصحيح وطعن المطعون فيه ، وعملت كتاباً فى المذهب أدخلتها فيه وسميته « البازى الأشهب المنقض على مخالفى المذهب » .

= يكن يجرى على طريقة الفقهاء فى التفريع - والتأصيل وتبيين مناط الأحكام والتعليل ، حتى قلّت انفراداته فى الفروع عمن تقدمه من الفقهاء ، فإن خالف الشافعى مثلاً فى شىء من قوله الجديد تراه يوافق فيه أبا حنيفة أو أحد أصحابه أو مالكاً رضى الله عنهم ، فكان يستغنى أصحاب كتب الخلاف عن ذكر أقوال أحمد بذكر خلاف من تقدمه من الفقهاء ، ولم يذع تدوين أقواله مع أقوال بقية الفقهاء فى كتب الخلاف إلا فى عهد ابن هبيرة الوزير فإنه لما ألف إفصاحه وخص من بين مجلداته مجلداً ضخماً باختلاف الأئمة الأربعة ، واعتنى به عناية تامة وسعى فى نشره بصرف مبالغ طائلة ، أخذ من يكتب فى الخلاف يذكر أقوال أحمد مع أقوال غيره من الأئمة ، وكان ابن جرير أدركه سناً وأدرك أصحابه لقاء ومع ذلك لم يذكر أقواله فيما كتبه فى اختلاف الفقهاء مع ذكره من هو على شاكلة أبى بكر عبد الرحمن بن كيسان الأصم ، فسأله الحنابلة عن ذلك فقال ما معناه : لم يكن أحمد من الفقهاء وإنما كان من أهل الحديث وما كنت لقيته حتى آخذ منه ولا لقيت أصحاباً له يحق أن يؤخذ منهم فثارت ثائرة الحنابلة عليه وجرى ما ينقله ياقوت فى معجم الأدباء وابن الأثير فى كامله . (ز) .

وصنفت فى الفروع : كتاب « المذهّب فى المذهب » وكتاب « مسبوك الذهب » وكتاب « البلغة » وفى أصول الدين كتاب « منهاج الوصول إلى علم الأصول » ، وقد بلغت مصنفاتي مائتى مصنف وخمسين مصنفا .

ورأيت من أصحابنا من تكلم فى الأصول بما لا يصلح ، وانتدب للتصنيف ثلاثة : أبو عبد الله بن حامد [١] وصاحبه القاضى « أبو يعلى »[٢] ، وابن الزاغونى [٣] فصنفوا كتباً شانوا بها المذهب ، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام فحملوا الصفات على مقتضى الحس ، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته فأثبوا له صورة ووجها زائداً على الذات ، وعينين ،

---

(١) هو شيخ الحنابلة أبو عبد الله الحسن بن حامد بن على البغدادى الوراق المتوفى سنة ثلاث وأربعمائة ، كان من أكبر مصنفيهم ، له شرح أصول الدين ، فيه طامات سيورد المصنف بعضها ، ولديه تخرج القاضى أبو يعلى الحنبلى . (ز) .

(٢) هو القاضى أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء الحنبلى المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ، وفيه يقول أبو محمد التميمى ما معناه : لقد شان أبو يعلى الحنابلة شيناً لا يغسله ماء البحار ، على ما نقله ابن الأثير وأبو الفداء ، وعزا فى طبقاته إلى الإمام أحمد ما يبعد أن يصح عنه كل البعد ، ونقل ابن بدران الدشتى فى جزء إثبات الحد عن كتاب الأصول لأبى يعلى هذا ما هو أفظع مما سينقله المصنف عنه فى التشبيه ، على تضارب فى أقواله بين تنزيه وتشبيه ، ولا يخفى على الناظر أن غير الحافظ أبى يعلى أحمد ابن على الموصلى صاحب المسند وراوى كتب أبى يوسف عن بشر بن الوليد . (ز)

(٣) هو أبو الحسن على بن عبيد الله بن نصر الزاغونى الحنبلى المتوفى سنة سبع وعشرين وخمسمائة ، وهو من مشايخ المصنف ، وله فى كتاب الإيضاح من غرائب التشبيه ما يحار فيه النبيه . (ز)

وفماً ، ولهوات ، وأضراساً ، وأضواء ، لوجهه هى السبحات ، ويدين، وأصابع ، وكفاً ، وخنصراً ، وإبهاماً ، وصدراً ، وفخذاً ، وساقين ، ورجلين ، وقالوا : ما سمعنا بذكر الرأس .

وقالوا يجوز أن يمس ويُمس ويدنى العبد من ذاته ، وقال بعضهم ويتنفس ، ثم إنهم يرضون العوام بقولهم (لا كما يُعقل) .

وقد أخذوا بالظاهر فى الأسماء والصفات فسموها بالصفات تسمية مبتدعة لا دليل لهم فى ذلك من النقل ولا من العقل ، ولم يلتفتوا إلى النصوص الصارفة عن الظواهر إلى المعانى الواجبة لله تعالى : ولا إلى إلغاء ما توجبه الظواهر من سمات الحدث ، ولم يقنعوا بأن يقولوا : صفة فعل ، حتى قالوا : صفة ذات .

ثم لما أثبتوا أنها صفات قالوا لا نحملها على توجيه اللغة مثل يد على نعمة وقدرة ، ولا مجيئ وإتيان على معنى برّ ولطف ، ولا ساق على شدة ، بل قالوا نحملها على ظواهرها المتعارفة ، والظاهر هو المعهود من نعوت الآدميين والشيء إنما يحمل على حقيقته إذا أمكن ، فإن صرف صارف حمل على المجاز ، ثم يتحرجون من التشبيه ويأنفون من إضافته إليهم ويقولون : نحن أهل السنة ، وكلامهم صريح فى التشبيه .

وقد تبعهم خلق من العوام ، وقد نصحت التابع والمتبوع فقلت لهم : يا أصحابنا أنتم أصحاب نقل واتباع ، وإمامكم الأكبر

أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى يقول وهو تحت السياط : كيف أقول ما لم يقل [١] . فإياكم أن تبتدعوا فى مذهبه ماليس منه ؛ ثم قلتم فى الأحاديث(تحمل عى ظاهرها) فظاهر القدم الجارحة،فإنه لما قيل فى عيسى عليه الصلاة والسلام (روح الله) اعتقدت النصارى لعنهم الله تعالى أن لله سبحانه وتعالى صفة هى روح ولجت فى مريم .

ومن قال استوى بذاته المقدسة فقد أجراه سبحانه وتعالى مجرى الحسيات ، وينبغى أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل فإنا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم ، فلوا أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليهم ، إنما حملكم إياها على الظاهر قبيح [٢] .

---

(١) ولما سئل الإمام أحمد عن أحاديث النزول والرؤية وضع القدم ونحوها قال : « نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى » ، وقال أيضاً يوم سألوه عن الاستواء : « استوى على العرش كيف شاء وكما شاء بلا حد ولا صفة يبلغها واصف » على ما ذكره الخلال فى السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد ، وهذا تفويض وتنزيه كما هو مذهب السلف ، وربما أوّل فى بعض المواضع كما حكى حنبل أيضاً عن الإمام أحمد أنه سمعه يقول : احتجوا على يوم المناظرة فقالوا : تجئ يوم القيامة سورة البقرة وتجيء سورة تبارك ، قال فقلت لهم : إنما هو الثواب قال الله جل ذكره ﴿ وجاء ربك والملك صفاً صفا ﴾ وإنما تأتى قدرته . وقال ابن حزم الظاهرى فى فصله : وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال : « وجاء ربك » إنما معناه : وجاء أمر ربك ا هـ . وهذا تأويل وتنزيه كما هو مذهب الخلف ، وأما ما ينقل عن الإمام أحمد مما يخالف ما تقدم فهو تخرص صديق جاهل وسوء فهم لمذهب هذا الإمام . (ز)

(٢) يقول الأستاذ الشيخ محمد عبده رحمه الله فيما كتبه على العضدية عند الكلام على حديث افتراق الأمة : فإن قلت : إن كلام الله وكلام النبى ﷺ مؤلف من الألفاظ العربية ومدلولاتها معلومة لدى أهل اللغة فيجب الأخذ بحاق مدلول اللفظ كان ما كان. قلت :=

فلا تدخلوا فى مذهب هذا الرجل الصالح السلفى ما ليس منه فلقد كسيتم هذا المذهب شيئاً قبيحاً ، حتى صار لا يقال عن حنبلى إلا مجسم ، ثم زينتم مذهبكم أيضاً بالعصبية ليزيد بن معاوية وقد علمتم أن صاحب المذهب أجاز لعنته . وقد كان أبو محمد التميمى يقول فى بعض أئمتكم [1] . لقد شان المذهب شيناً قبيحاً لا يغسل إلى يوم القيامة .

* * *

فصل : وقد وقع غلط المصنفين الذين ذكرتهم فى سبعة أوجه .

أولها أنهم سموا الأخبار أخبار صفات وإنما هى إضافات وليس كل مضاف صفة ، فإنه قال تعالى ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ وليس لله صفة تسمى روحاً ، فقد ابتدع من سمى المضاف صفة .

والثانى أنهم قالوا هذه الأحاديث من المتشابه الذى لا يعلمه إلا الله تعالى ، ثم قالوا نحملها على ظواهرها ، فواعجباً ما لا يعلمه إلا الله تعالى أى ظاهر له ؛ وهل ظاهر الاستواء إلا القعود وظاهر

= حينئذ لم يكن ناجياً إلا طائفة المجسمة الظاهريون القائلون بوجوب الأخذ بجميع النصوص وترك طريق الاستدلال رأساً ، مع أنه لا يخفى ما فى آراء هذه الطائفة من الاختلال ، مع سلوكهم طريقاً ليس يفيد اليقين بوجه ، فإن للتخاطبات مناسبات ترد بمطابقتها فلا سبيل إلا إلى الاستدلال وتأويل ما يبدى بظاهره نقصاً إلى ما يفيد الكمال ، وإذا صح التأويل للبرهان فى شيء صح فى بقية الأشياء حيث لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ. (ز)

(١) وهو القاضى أبو يعلى المتقدم . (ز)

النزول إلا الانتقال ! .

والثالث أنهم أثبتوا لله سبحانه وتعالى صفات ، وصفات الحق جل جلاله لا تثبت إلا بما تثبت به الذات من الأدلة القطعية .

والرابع أنهم لم يفرقوا فى الإثبات بين خبر مشهور كقوله ﷺ « ينزل تعالى إلى سماء الدنيا » وبين حديث لا يصح كقوله « رأيت ربى فى أحسن صورة » بل أثبتوا بهذا صفة وبهذا صفة .

والخامس أنهم لم يفرقوا بين حديث مرفوع إلى النبى ﷺ وبين حديث موقوف على صحابى أو تابعى ، فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا .

والسادس أنهم تأولوا بعض الألفاظ فى موضع ولم يتأولوها فى موضع كقوله « ومن أتانى يمشى أتيته هرولة » قالوا ضرب مثلاً للإنعام .

والسابع أنهم حملوا الأحاديث على مقتضى الحس فقالوا : ينزل بذاته وينتقل ويتحول ، ثم قالوا : لا كما نعقل ، فغالطوا من يسمع وكابروا الحس والعقل فحملوا الأحاديث على الحسيات .

فرأيت الرد عليهم لازماً لئلاً ينسب الإمام أحمد رحمه الله إلى ذلك ، وإذا سكتُّ نسبت إلى اعتقادى ذلك ولا يهولنى أمر يعظم فى النفوس لأن العمل على الدليل وخصوصاً فى معرفة الحق تعالى

لا يجوز فيها التقليد ، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن مسألة فأفتى فيها فقيل : هذا لا يقول به ابن المبارك فقال : ابن المبارك لم ينزل من السماء ، وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : استخرت الله تعالى فى الرد على الإمام مالك رحمه الله .

ولما صنف هؤلاء الثلاثة كتباً ، وانفرد القاضى « أبو يعلى » فصنف الأحاديث ذكرتها على ترتيبه ، وقدمت عليها الآيات الشريفة التى وردت فى ذلك .

باب ما جاء في القرآن العظيم من ذلك

قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ويبقى وجه ربك ﴾ [(١)] . قال المفسرون : يبقى ربك ، وكذا قالوا فى قوله تعالى ﴿ يريدون وجهه ﴾ أى يريدونه ، وقال الضحاك وأبو عبيدة ﴿ كل شئ هالك إلا وجهه ﴾ أى إلا هو .

وقد ذهب الذين أنكرنا عليهم إلى أن الوجه صفة يختص باسم زائد على الذات . فمن أين قالوا هذا وليس لهم دليل إلا ما عرفوه من الحسيات ، وذلك يوجب التبعيض ، ولو كان كما قالوا كان المعنى أن ذاته تهلك إلا وجهه ، وقال ابن حامد : أثبتنا لله تعالى وجهاً ولا يجوز إثبات رأس . قال ولقد اقشعر بدنى من جراءته على ذكر هذا ، فما أعوزه فى التشبيه غير الرأس .

ومنها قوله تعالى ﴿ ولتصنع على عينى ﴾ ، ﴿ واصنع الفلك بأعيننا ﴾ [(٢)] . أى بمرأى منا ، وإنما جمع لأن عادة الملك أن يقول أمرنا ونهينا .

---

(١) قال الزمخشرى فى الكشاف : ﴿ وجه ربك ﴾ ذاته ، والوجه يعبر به عن الجملة والذات ، ومساكين مكة يقولون : أين وجه عربى كريم ينقذنى من الهوان .

(٢) يقول الزمخشرى : ﴿ بأعيننا ﴾ فى موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظاً وحقيقته ملتبساً بأعيننا كأن لله معه أعيناً تكلؤه أن يزيغ فى صنعته عن الصواب وأن لا يحول بينه وبين عمله أحد من أعدائه . هـ ويقول الرازى فى أساس التقديس عند الكلام على العين : لابد من المصير إلى التأويل وذلك هو أن يحمل هذه الألفاظ على شدة العناية والحراسة ، والوجه فى حسن هذا المجاز أن من عظمت عنايته بشيء وميله إليه ورغبته فيه كان كثير النظر إليه فجعل لفظ العين التى هى آلة لذلك النظر كناية عن شدة العناية .

وقد ذهب القاضى (أبو يعلى) إلى أن العين صفة زائدة على الذات وقد سبقه أبو بكر بن خزيمة [١] . فقال فى الآية : لربنا عينان ينظر بهما ، وقال ابن حامد : يجب الإيمان أن له عينين .

وهذا ابتداع لا دليل لهم عليه ، وإنما أثبتوا عينين من دليل الخطاب فى قوله ﷺ (ليس بأعور) [٢] وإنما أريد نفى النقص عنه تعالى،ومتى ثبت أنه لا يتجزأ لم يكن لما يتخايل من الصفات وجه .

ومنها قوله تعالى ﴿ لما خلقت بيدىّ ﴾ [٣] اليد فى اللغة

---

(١) هو محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابورى توفى عام أحد عشر وثلثمائة ، يعد فى أكابر المحدثين ، كان يورع نفسه عن الخوض فى مسائل الكلام وينهى أصحابه عنه ، ثم اضطره بعض أهل النظر إلى الدخول فى هذه المآزم فزلت قدمه وخرج إلى وجوه غير معقولة سامحه الله . (ز)

(٢) طالع الحديث الخمسين الآتى ترى مزيد تفصيل عن هذا الخبر .

(٣) يقول الزمخشرى : أن ذا اليدين يباشر أكثر أعماله بيديه ، فغلب العمل باليدين على سائر الأعمال التى تباشر بغيرهما ، حتى قيل فى عمل القلب : هو مما عملت يداك ، وحتى قيل لمن لا يدى له : يداك أوكتا وفوك نفخ ، وحتى لم يبق فرق بين قولك : هذا مما عملته وهذا مما عملته يداك ا . هـ وقال الراغب الأصبهانى فى مفرداته : قوله تعالى ﴿ مما عملت أيدينا ﴾ وقوله ﴿ لما خلقت بيدى ﴾ عبارة عن توليه لخلقه باختراعه الذى ليس إلا له عز وجل ، وخص لفظ اليد ليتصور لنا المعنى إذ هو أجل الجوارح التى يتولى بها الفعل فيما بيننا ليتصور لنا اختصاص المعنى لا لنتصور منه تشبيها ، وقيل معناه بنعمتى التى رشحتها لهم ، والباء فيه ليس كالباء فى قولهم : قطعته بالسكين بل هو كقولهم : خرج بسيفه أى معه سيفه ، معناه خلقته ومعه نعمتاى الدنيوية والأخروية اللتان إذا رعاهما بلغ بهما السعادة الكبرى .

وقال العلامة الشيخ جمال الدين القاسمى فى تفسيره محاسن التأويل: ﴿ لما خلقت بيدى ﴾ أى بنفسى من غير توسط كأب وأم .

بمعنى النعمة والإحسان ، ومعنى قول اليهود لعنهم الله تعالى : ﴿ يد الله مغلولة ﴾ أى محبوسة عن النفقة ؛ واليد القوة يقولون : له بهذا الأمر يد .

وقوله ﴿ بل يداه مبسوطتان ﴾ أى نعمته وقدرته [١] . وقوله ﴿ لما خلقت بيدى ﴾ أى بقدرتى ونعمتى وقال الحسن : (يد الله فوق أيديهم) أى منته وإحسانه ، هذا كلام المحققين .

وقال القاضى (أبو يعلى) اليدان صفتان ذاتيتان تسميان باليدين . وهذا تصرف بالرأى لا دليل عليه ، وقال لو لم يكن لآدم عليه الصلاة والسلام مزية على سائر الحيوانات بخلقه باليد التى هى صفة لما عظمه بذكرها وأجله فقال (بيدى) ولو كانت القدرة لما كانت له مزية ، ولو كانت القدرة لم تثن .

قلنا بلى قالت العرب ليس لى بهذا الأمر يدان أى ليس لى به قدرة ، قال عروة بن حزام :

فقالا شفاك الله والله مالنا بما ضمنت منك الضلوع يدان

وقولهم : ميزه بذلك عن الحيوان فقد قال تعالى ﴿ خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاما ﴾ ولم يدل على تمييز الأنعام على بقية

---

(١) فى أساس التقديس لمجدد القرن السادس الفخر الرازى : والسبب فى حسن هذا المجاز أن كمال حال هذا العضو إنما يظهر بالصفة المسماة بالقدرة فلما كان المقصود من اليد حصول القدرة أطلق اسم القدرة على اليد ، ولأن آلة إعطاء النعمة اليد فإطلاق اسم اليد على النعمة إطلاق لاسم السبب على المسبب .

الحيوان .

قال تعالى ﴿ والسماء بنيناها بأيد ﴾ أى بقوة ثم قد أخبر أنه قد نفخ فيه من روحه ولم يرد الوضع بالفعل والتكوين ، والمعنى نفخت أنا ، ويكفى شرف الإضافة إذ لا يليق بالخالق جل جلاله سوى ذلك لأنه لا يحتاج أن يفعل بواسطة ، ولا له أعضاء وجوارح يفعل بها لأنه تعالى الغنى بذاته ؛ فلا ينبغى أن يتشاغل بطلب تعظيم آدم عليه الصلاة والسلام مع الغفلة عما يستحقه البارى سبحانه من التعظيم بنفى الأبعاض والآلات فى الأفعال ، لأن هذه الأشياء صفة الأجسام .

وقد ظن بعض الثلاثة أن الله تعالى يمسّ حتى توهموا أنه مس طينة آدم بيد هى بعض ذاته ، وما فطنوا أن من جملة مخلوقاته جسماً يقابل جسما فيتحد به ويفعل فيه ، أفتراه سبحانه وتعالى جعل أفعال الأشخاص والأجسام تتعدى إلى أجسام بعيدة ثم يحتاج هو فى أفعاله إلى معاناة الطين ؟ وقد ردّ قول من قال هذا بقوله تعالى ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ .

ومنها قوله تعالى ﴿ ويحذركم الله نفسه ﴾ وقوله تعالى ﴿ تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك ﴾ قال المفسرون ، ويحذركم الله إياه ، وقالوا : تعلم ما عندى ولا أعلم ما عندك ، وقال

المحققون : المراد بالنفس ها هنا الذات ، ونفس الشيء ذاته .

وقد ذهب القاضي (أبو يعلى) إلى أن لله تعالى نفساً وهي صفة زائدة على ذاته ، وهذا قول لا يستند إلا إلى التشبيه لأنه يوجب أن الذات شيء والنفس غيرها .

ومنها قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [(١)]. ظاهر الكلام أن له مثلا فليس كمثله شيء وليس كذلك ، إنما معناه عند أهل اللغة أن يقام المثل مقام الشيء نفسه يقول الرجل مثلي لا يكلم مثلك ، وإنما المعنى ليس كهو شيء .

ومنها قوله تعالى ﴿ يوم يُكشف عن ساق ﴾ [(٢)]. قال جمهور

(١) يقول الزمخشري في الكشاف : قالوا مثلك لا يبخل فنفوا البخل عن مثله وهم يريدون نفيه عن ذاته قصدوا المبالغة في ذلك فسلكوا به طريق الكناية لأنهم إذا نفوه عمن يسدّ مسدّه وعمن هو على أخص أوصافه فقد نفوه عنه ، ونظيره : قولك للعربي العرب لا تخفر الذمم كان أبلغ من قولك : أنت لا تخفر ومنه قولهم : قد أيفعت لداته وبلغت أترابه يريدون إيفاعه وبلوغه ا هـ .

وقال الراغب : أن الندّ يقال فيما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال فيما يشارك في الكيفية فقط والمساوى يقال فيما يشارك في الكمية فقط والشكل يقال فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط والمثل عام في جميع ذلك ولهذا لما أراد الله نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر فقال ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ وأما الجمع بين الكاف والمثل فقد قيل ذلك لتأكيد النفي تنبيهاً على أنه لا يصح استعمال المثل ولا الكاف فنفى بليس الأمرين جميعاً وقيل المثل ها هنا بمعنى الصفة ومعناه : ليس كصفته صفة تنبيهاً على أنه وإن وصف بكثير مما يوصف به البشر فليس تلك الصفات له على حسب ما يستعمل في البشر .

(٢) ومما قاله الرازي في تفسير هذه الآية : يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب عظيم واللفظ لا يدل إلا على ساق فأما إن ذلك الساق ساق أي شيء هو فليس في اللفظ ما يدل عليه .

العلماء : يكشف عن شدة وأنشدوا : وقامت الحرب على ساق [١]. وقال آخر : وإن شمرت عن ساقها الحرب شمرا ، قال ابن قتيبة : وأصل هذا أن الرجل إذا وقع فى أمر عظيم يحتاج إلى معاناة الجدّ فيه شمر عن ساقه فاستعيرت الساق في موضع الشدة وهذا قول الفراء وأبى عبيدة وثعلب واللغويين ، وروى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن النبى ﷺ « أن الله عز وجل يكشف عن ساقه »[٢]. وهذه إضافة إليه معناها يكشف عن شدته وأفعاله المضافة إليه ومعنى يكشف عنها يزيلها ، وقال عاصم بن كليب رأيت سعيد بن

= وفى مجاسن التأويل للعلامة الجمال القاسمى رحمه الله : وقال أبو سعيد الضرير : أى يوم يكشف عن أصل الأمر ، وساق الشيء أصله الذى به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان ، أى تظهر يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها فالساق بمعنى أصل الأمر وحقيقته استعارة من ساق الشجر .

(١) قال البيهقى فى كتابه (الأسماء والصفات) عند الاستشهاد بهذا الكلام من الشعر : عن ابن عباس أنه سئل عن قوله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ فقال : إذا خفى عليكم شيء من القرآن فابتغوه من الشعر فإنه ديوان العرب .

(٢) فى صحيح البخارى : ثنا آدم ثنا الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن أبى هلال عن زيد ابن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد قال سمعت النبى ﷺ يقول : (يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة) الحديث وقال الحافظ ابن حجر : ووقع فى هذا الموضع (يكشف ربنا عن ساقه) وهو من روايه سعيد بن أبى هلال عن زيد بن أسلم فأخرجها الإسماعيلى كذلك ثم قال : فى قوله عن ساقه نكرة ، ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة بن زيد بن أسلم بلفظ ﴿ يكشف عن ساق ﴾ قال الإسماعيلى هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن فى الجملة ا هـ .

وقد أخذ ابن شاقلاً على البخارى إخراجه جديث الساق فى صحيحه لأنه من رواية ابن أبى هلال وبراه ليس من شرطه لضعفه . وقال ابن حزم أيضاً : ابن أبى هلال ليس بالقوى قد ذكره بالتخليط يحيى وأحمد بن حنبل . (ز)

جبير غضب وقال : يقولون يكشف عن ساقه وإنما ذلك من أمر شديد .

وقد ذكر أبو عمر الزاهد : أن الساق بمعنى النفس قال ومنه قول على رضى الله عنه لما قالت الشراة لا حكم إلا لله تعالى فقال : لابد من محاربتهم ولو تلفت ساقى ، فعلى هذا يكون المعنى يتجلى لهم . وفى حديث أبى موسى عن النبى ﷺ أنه قال : « يكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيخرون لله سجداً ويبقى أقوام فى ظهورهم مثل صياصى البقر يريدن السجود فلا يستطيعون فذلك قوله تعالى ﴿ يوم يُكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون ﴾ .

وقد ذهب القاضى (أبو يعلى) إلى أن الساق صفة ذاتية وقال : مثله يضع قدمه فى النار وحكى عن ابن مسعود قال يكشف عن ساقه اليمنى فتضىء من نور ساقه الأرض ، قلت وذكره الساق مع القدم تشبيه محض ، وما ذكره عن ابن مسعود محال ولا يثبت لله تعالى صفة بمثل هذه الخرافات ، ولا توصف ذاته بنور شعاعى تضئ به الأرض ، واحتجاجه بالإضافة ليس بشىء لأنه إذا كشف عن شدته فقد كشف عن ساقه ، وهؤلاء وقع لهم أن معنى يكشف يظهر وإنما المعنى يزيل ويرفع .

وقال ابن حامد يجب الإيمان بأن لله سبحانه وتعالى ساقاً صفة لذاته فمن جحد ذلك كفر. قلت لو تكلم بهذا عامى

جلف كان قبيحاً فكيف من ينسب إلى العلم فإن المتأولين أعذر منهم لأنهم يردون الأمر إلى اللغة وهؤلاء أثبتوا ساقاً للذات وقدما حتى يتحقق التجسيم والصورة .

ومنها قوله تعالى ﴿ ثم استوى على العرش ﴾ (١) . قال الخليل ابن أحمد : العرش السرير وكل سرير لملك يسمى عرشاً ، والعرش

---

(١) يقول الآلوسي في تفسيره : والناس في الكلام على هذه الآية ونحوها مختلفون ، فمنهم من فسر العرش بالمعنى المشهور وفسر الاستواء بالاستقرار وروى ذلك عن الكلبي ومقاتل ورواه البيهقي في (الأسماء والصفات) بروايات كثيرة عن جماعة من السلف وضعفها كلها ، وما روى عن مالك رضى الله عنه أنه سئل كيف استوى فأطرق رأسه ملياً حتى علته الرحضاء ثم رفع رأسه فقال : الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة ثم قال للسائل : وما أظنك إلا ضالاً ثم أمر به فأخرج ليس نصاً فى هذا المذهب لاحتمال أن يكون المراد من قوله : (غير مجهول) أنه ثابت معلوم الثبوت لا أن معناه الاستقرار وهو غير مجهول . وقال فى موضع آخر : وإلى نحو هذا ذهب الشيخ عز الدين بن عبد السلام فقال فى بعض فتاويه : طريقة التأويل بشرطه وهو قرب التأويل أقرب إلى الحق لأن الله تعالى إنما خاطب العرب بما يعرفونه ، وقد نصب الأدلة على مراده من آيات كتابه لأنه سبحانه قال : ﴿ ثم إن علينا بيانه ﴾ ولنبين للناس ما نزل إليهم ، وهذا عام فى جميع آيات القرآن فمن وقف على الدليل أفهمه الله مراده من كتابه وهو أكمل ممن لم يقف على ذلك إذ لا يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون اهـ. وفيه توسط فى المسألة ، وقد توسط ابن الهمام فى (المسايرة) وقد بلغ رتبة الاجتاد كما قال عصرينا ابن عابدين الشامى فى (رد المحتار) توسطاً أخص من هذا التوسط فذكر ما حاصله : وجوب الإيمان بأنه تعالى استوى على العرش مع نفى التشبيه ، وأما كون المراد استولى فأمر جائز الإرادة لا واجبها إذ لا دليل عليه ، وإذا خيف على العامة عدم فهم الاستواء إذا لم يكن بمعنى الاستيلاء إلا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا بأس بصرف فهمهم إلى الاستيلاء فإنه قد ثبت إطلاقه عليه لغة فى قوله :

فلما علونا واستوينا عليهم   جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وقوله : قد استوى بشر على العراق   من غير سيف ودم مهراق (ز)

مشهور عند العرب فى الجاهلية والإسلام ، قال تعالى ﴿ ورفع أبويه على العرش ﴾ وقال تعالى ﴿ أيكم يأتينى بعرشها ﴾ ، اعلم أن الاستواء فى اللغة على وجوه : منها الاعتدال قال بعض بنى تميم : « فاستوى ظالم العشيرة والمظلوم » أى اعتدلا ، والاستواء تمام الشىء قال الله تعالى ﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ ، والاستواء القصد إلى الشىء قال الله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ أى قصد خلقها والاستواء الاستيلاء على الشىء قال الشاعر :

إذا ما غـزا قوماً أبـــاح حريمهم ... وأضحى على ما ملكوه قد استوى

وروى إسماعيل بن أبى خالد الطائى قال : العرش ياقوتة حمراء ، وجميع السلف على إيراد هذه الآية كما جاءت من غير تفسير ولا تأويل .

وقد حمل قوم من المتأخرين هذه الصفة على مقتضى الحس فقالوا استوى على العرش بذاته . وهذه زيادة لم ينقلوها إنما فهموها من إحساسهم وهو أن المستوى على الشىء إنما يستوى عليه ذاته. قال ابن حامد الاستواء مماسة وصفة لذاته والمراد به القعود [١] .

---

(١) قال الجلال الدوانى فى شرح العضدية : وقدرأيت فى بعض تصانيف (ابن تيمية) القول به (أى بالقدم النوعى) فى العرش ا هـ وقال الشيخ محمد عبده فيما علقه عليه : وذلك أن ابن تيمية كان من الحنابلة الآخذين بظواهر الآيات والأحاديث القائلين بأن الله استوى على العرش جلوساً ، فلما أورد عليه أنه يلزم أن يكون العرش أزلياً لما أن الله أزلى فمكانه أزلى ، وأزلية العرش خلاف مذهبه قال إنه قديم بالنوع أى أن الله لا يزال يعدم عرشاً ويحدث آخر من الأزل إلى الأبد حتى يكون له الاستواء أزلاً وأبداً ولتنظر أين يكون الله بين=

قال وقد ذهبت طائفة من أصحابنا إلى أن الله تعالى على عرشه ما ملأه وأنه يُقعد نبيه معه على العرش وقال والنزول انتقال .

وعلى ما حكى تكون ذاته أصغر من العرش ، فالعجب من قول هذا ما نحن مجسمة .

وقيل لابن الزاغونى : هل تجددت له صفة لم تكن بعد خلق العرش ؟ قال : لا ، إنما خلق العالم بصفة التحت فصار العالم بالإضافة إليه أسفل ، فإذا ثبتت لإحدى الذاتين صفة التحت ثبت للآخر استحقاق صفة الفوق ، قال : وقد ثبت أن الأماكن ليست فى ذاته ولا ذاته فيها فثبت انفصاله عنها ولا بد من بدء يحصل به الفصل فلما قال (استوى) علمنا اختصاصه بتلك الجهة ، قال ولا بد أن يكون لذاته نهاية وغاية يعلمها .

قلت : هذا رجل لا يدرى ما يقول ، لأنه إذا قدر غاية وفصلا بين الخالق والمخلوق فقد حدده وأقر بأنه جسم ، وهو يقول فى كتابه : إنه ليس بجوهر لأن الجوهر ما تحيز ، ثم يثبت له مكاناً يتحيز فيه ، قلت : وهذا كلام جهل من قائله وتشبيه محض ، فما عرف هذا الشيخ ما يجب للخالق تعالى وما يستحيل عليه .

= الإعدام والإيجاد هل يزول عن الاستواء فليقل به أزلاً ، فسبحان الله ما أجهل الإنسان وما أشنع ما يرضى لنفسه ، ولست أعرف هل قال ابن تيمية بشىء من ذلك على التحقيق ، وكثيراً ما نقل عنه مالم يقله ا هـ . (ز)

فإن وجوده تعالى ليس كوجود الجواهر والأجسام التى لا بد لها من حيز ، والتحت والفوق إنما يكون فيما يقابل ويحاذى ، ومن ضرورة المحاذى أن يكون أكبر من المحاذى أو أصغر أو مثله ، وأن هذا ومثله إنما يكون فى الأجسام ، وكل ما يحاذى الأجسام يجوز أن يمسها ، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها فهو حادث ، إذ قد ثبت أن الدليل على حدوث الجواهر قبولها المماسة والمباينة ، فإن أجازوا هذا عليه قالوا بجواز حدثه ، وإن منعوا جواز هذا عليه لم يبق لنا طريق لإثبات حدث الجواهر ، ومتى قدرنا مستغنياً عن المحل والحيز ومحتاجاً إلى الحيز ثم قلنا : إما أن يكونا متجاورين أو متباينين كان ذلك محالاً فإن التجاور والتباين من لوازم التحيز فى المتحيزات .

وقد ثبت أن الاجتماع والافتراق من لوازم التحيز ، والحق سبحانه وتعالى لا يوصف بالتحيز لأنه لو كان متحيزاً لم يخل إما أن يكون ساكناً فى حيزه أو متحركاً عنه ، ولا يجوز أن يوصف بحركة ولا سكون ولا اجتماع ولا افتراق،ومن جاور أو باين فقد تناهى ذاتاً ، والتناهى إذا اختص بمقدار استدعى مخصصا ، وكذا ينبغى أن يقال ليس بداخل فى العالم وليس بخارج منه لأن الدخول والخروج من لوازم المتحيزات ، فهما كالحركة والسكون وسائر الأعراض التى تخص بالأجرام..

وأما قولهم: «خلق الأماكن لا فى ذاته فثبت إنفصاله عنها» قلنا ذاته المقدسة لا تقبل أن يخلق فيها شىء ولا أن يحل فيها شىء ، وقد حملهم الحس على التشبيه والتخليط حتى قال بعضهم : إنما ذكر الاستواء على العرش لأنه أقرب الموجودات إليه ، وهذا جهل أيضاً لأن قرب المسافة لا يتصور إلا فى جسم ، ويعز علينا كيف ينسب هذا القائل إلى مذهبنا .

واحتج بعضهم بأنه على العرش بقوله تعالى ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ وبقوله تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ وجعلوا ذلك فوقية حسية ، ونسوا أن الفوقية الحسية إما أن تكون لجسم أو جوهر ، وأن الفوقية قد تطلق لعلو المرتبة فيقال : فلان فوق فلان [1] . ثم إنه كما قال تعالى فوق عباده قال تعالى ﴿ وهو معكم ﴾ فمن حملها على العلم حمل خصمه الاستواء على القهر [2] .

وذهبت طائفة إلى أن الله تعالى على عرشه قد ملأه ،

---

(١) فى التفسير الكبير للفخر الرازى : العالم كرة وإذا كان الأمر كذلك امتنع أن يكون إله العالم حاصلاً فى جهة فوق ، إذا فرضنا إنسانين وقف أحدهما على نقطة المشرق والآخر على نقطة المغرب صار أخمص قدميهما متقابلين ، والذى هو فوق بالنسبة لأحدهما يكون تحت بالنسبة إلى الثانى ، وكونه تعالى تحت أهل الدنيا محال بالاتفاق فوجب أن لا يكون فى حيز معين . (ز)

(٢) يقول الفخر الرازى فى أساس التقديس : إن ظاهر قوله تعالى ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ وقوله ﴿ وهو معكم إينما كنتم ﴾ وقوله ﴿ وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ﴾ ينفى كونه مستقراً على العرش ، وليس تأويل هذه الآيات لتبقى الآيات التى تمسكوا بها على ظاهرها أولى من العكس اهـ . (ز)

والأشبه أنه مماس للعرش ، والكرسى موضع قدميه . قلت المماسة إنما تقع بين جسمين ، وما أبقى هذا فى التجسيم بقية .

* * *

فصل : فإن قيل فقد أخرج فى الصحيحين من حديث شريك بن أبى نمر عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أنه ذكر المعراج فقال فيه : فعلاً به إلى الجبار تعالى فقال وهو فى مكانه « يا رب خفف عنا » .

الجواب : أن أبا سليمان الخطابى قال هذه لفظة لفرد بها شريك ولم يذكرها غيره وهو كثير التفرد بمناكير الألفاظ والمكان لا يضاف إلى الله تعالى إنما هو مكان النبى ﷺ ومقامه الأول الذى أقيم فيه وفى هذا الحديث - فاستأذنت على ربى وهو فى داره - يوهم مكانا وإنما المعنى فى داره التى دورها لأوليائه [1] ؛ وقد قال القاضى (أبو يعلى) فى كتابه المعتمد : إن الله عز وجل لا يوصف بالمكان .

ومن الآيات قوله تعالى ﴿ ءأمنتم من فى السماء ﴾ [2] . قد

---

(١) زاد البيهقى فى كتابه الأسماء والصفات : (وهى الجنة) .

(٢) قال الفخر الرازى فى تفسير هذه الآية : أن هذه الآية لا يمكن إجراؤها على ظاهرها باتفاق المسلمين لأن كونه فى السماء يقتضى كون السماء محيطاً به من جميع الجوانب فيكون أصغر من السماء والسماء أصغر من العرش بكثير فيلزم أن يكون الله تعالى شيئاً حقيراً بالنسبة إلى العرش، وذلك باتفاق أهل الإسلام محال .وقال الزمخشرى ووافقه الفخر: (من فى السماء) فيه وجهان أحدهما من ملكوته فى السماء لأنها مسكن ملائكته وثم عرشه وكرسيه واللوح المحفوظ ومنها تنزل قضاياه وكتبه وأوامره ونواهيه ، والثانى أنهم كانوا =

ثبت قطعاً أن الآيه ليست على ظاهرها لأن لفظة (فى) للظرفية ، والحق سبحانه وتعالى غير مظروف وإذا منع الحس أن ينصرف إلى مثل هذا بقى وصف العظيم بما هو عظيم عند الخلق .

ومنها قوله تعالى ﴿ يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله ﴾ [1] . أى فى طاعته وأمره لأن التفريط لا يقع إلا فى ذاته وأما الجنب المعهود من ذى الجوارح فلا يقع فيه تفريط .

وقال ابن حامد نؤمن بأن لله سبحانه وتعالى جنباً بهذه الآية .

= يعتقدون التشبيه وأنه فى السماء وأن الرحمة والعذاب ينزلان منه وكانوا يدعونه من جهتها فقيل لهم على حسب اعتقادهم : أأمنتم من تزعمون أنه فى السماء وهو متعال عن المكان أن يعذبكم بخسف أو بحاصب كما تقول لبعض المشبهة : أما تخاف من فوق العرش أن يعاقبك بما تفعل إذا رأيته يركب بعض المعاصى ، وقال الرازى أيضاً : والغرض من ذكر السماء تفخيم سلطان الله وتعظيم قدرته كما قال ﴿ وهو الله فى السموات وفى الأرض ﴾ فإن الشيء الواحد لا يكون دفعة واحدة فى مكانين ، وقال أيضاً : لم لا يجوز أن يكون المراد بقوله (من فى السماء) هو الملك الموكل بالعذاب وهو جبريل عليه السلام . (ز)

(١) يقول الزمخشرى فى كشافه : والجنب الجانب ، يقال : أنا فى جنب فلان وجانبه وناحيته وفلان لين الجنب والجانب ، ثم قالوا : فرط فى جنبه وفى جانبه يريدون فى حقه ، قال سابق البربرى :

أما تتقين الله فى جنب وامق ... له كبد حرّى عليك تقطع

وقال السيد محمود الآلوسى فى تفسيره (روح المعانى) : وبالجملة لا يمكن إبقاء الكلام على حقيقته لتنزهه عز وجل من الجنب بالمعنى الحقيقى ، ولم أقف على عد أحد من السلف إياه من الصفات السمعية ، ولا أعوّل على ما فى المواقف ، وعلى فرض العد كلامهم فيها شهير وكلهم مجمعون على التنزيه وسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، وفى حرف عبد الله وحفصة (فى ذكر الله) . هـ وقال العلامة القاسمى فى تفسيرها : أى فى جانب أمره ونهيه إذ لم أتبع أحسن ما أنزل .

فواعجباً من عدم العقول ، إذا لم يتهيأ التفريط فى جنب مخلوق فكيف يتهيأ فى صفة الخالق جل جلاله ، وأنشد ثعلبة :

« خليلىَّ كفا واذكرا الله فى جنبى » أي فى أمرى .

ومنها قوله تعالى ﴿ فنفخنا فيه من روحنا ﴾ [1] . قال المفسرون أي من رحمتنا وإنما نسب الروح إليه لأنه بأمره كان .

ومنها قوله تعالى ﴿ يؤذون الله ﴾ [2] . أى يؤذون أولياءه كقوله تعالى ﴿ واسئل القرية ﴾ أى أهلها وقال ﷺ ـ أُحد جبل يحبنا ونحبه ـ وقال الشاعر :

أنبئت أن النار بعدل أُوقدت   واستبَّ بعدك يا كليب المجلس

ومنها قوله تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴾ [3] . أى بظلل وكذلك قوله تعالى ﴿ وجاء ربك ﴾ ذكر

---

(١) قال الشهاب الآلوسى : ﴿ ونفخت فيه من روحى ﴾ تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها فليس ثمة نفخ ولا منفوخ ، أى فإذا أكملت استعداده وأفضت عليه ما يحيا به من الروح الطاهرة التى هى أمرى .

(٢) قال الآلوسى ﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله ﴾ أريد بالإيذاء إما ارتكاب ما لا يرضيانه من الكفر وكبائر المعاصى مجازاً لأنه سبب أو لازم له ، وإن كان ذلك بالنظر إليه تعالى بالنسبة إلى غيره سبحانه فإنه كاف فى العلاقة ، وقيل فى إيذائه تعالى هو قول اليهود والنصارى والمشركين : يد الله مغلولة ، والمسيح ابن الله ، والملائكة بنات الله ، والأصنام شركاؤه ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٣) ومما قاله جار الله الزمخشرى : ويجوز أن يكون المأتى به محذوفاً بمعنى أن يأتيهم الله ببأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله (فإن الله عزيز) ، فإن قلت : لِمَ يأتيهم العذاب فى الغمام؟قلت:لأن الغمام مظنة الرحمة فإذا نزل منه العذاب كان الأمر أفظع وأهول لأن الشر إذا جاء من حيث لا يحتسب =

القاضى (أبو يعلى) عن الإمام أحمد بن حنبل أنه قال فى قوله تعالى ﴿ أن يأتيهم الله ﴾ قال المراد به قدرته وأمره قال وقد بينه فى قوله تعالى ﴿ أو يأتى أمر ربك ﴾ ومثل هذا فى التوراة « وجاء ربك » قال إنما هى قدرته .

قال ابن حامد وهذا خطأ إنما ينزل بذاته بانتقال . قلت وهذا كلام فى ذات الله تعالى بمقتضى الحس كما يتكلم فى الأجسام .

= كان أغم كما أن الخير إذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسرّ ، فكيف إذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ، ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ، ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله تعالى ﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴾ ا هـ وساق الفخر الرازى فى هذا المعنى فصلا مشبعاً ـ شأنه فى تفسير آيات الصفات ـ إلى أن قال : إن قوله ﴿يأتيهم الله ﴾ وقوله ﴿ وجاء ربك ﴾ إخبار عن حال القيامة ، ثم ذكر هذه الواقعة بعينها فى سورة النحل فقال ﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى أمر ربك ﴾ فصار هذا المحكم مفسرا لذلك المتشابه لأن كل هذه الآيات لما وردت فى واقعة واحدة لم يبعد حمل بعضها على بعض،وقال تعالى بعده ﴿وقضى الأمر ﴾ ولا شك أن الألف واللام للمعهود السابق فلابد وأن يكون قد جرى ذكر أمر قبل ذلك حتى تكون الألف واللام إشارة إليه وما ذاك إلا الذى أضمرناه من أن قوله ﴿ يأتيهم الله ﴾ أى يأتيهم أمر الله ، وأنهى كلامه بقوله : والذى هو أوضح عندى من كل ما سلف أنا ذكرنا أن قوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾ إنما نزلت فى حق اليهود ، وعلى هذا التقدير فقوله ﴿ فإن زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم ﴾ يكون خطاباً مع اليهود ، وحينئذ يكون قوله تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ﴾ ، حكاية عن اليهود ، والمعنى أنهم لا يقبلون دينك إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام والملائكة ، ألا ترى أنهم فعلوا مع موسى مثل ذلك فقالوا ﴿ لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة ﴾ ، وإذا كان هذا حكاية عن حال اليهود لم يمنع إجراء الآية على ظاهرها ، وذلك لأن اليهود كانوا على مذهب التشبيه وكانوا يجوزون على الله المجئ والذهاب ، وكانوا يقولون : إنه تعالى تجلى لموسى عليه السلام على الطور فى ظلل من الغمام وطلبوا مثل ذلك فى زمن محمد عليه الصلاة والسلام .

قال ابن عقيل فى قوله تعالى ﴿ قل الروح من أمر ربى ﴾ قال من كفَّ خلقه عن السؤال عن مخلوق فكفهم عن الخالق وصفاته أولى وأنشدوا :

كيفية النفس ليس المرء يدركها   فكيف كيفية الجبار فى القدم

* * *

باب ذكر الأحاديث التي سموها أخبار الصفات

اعلم أن فى الأحاديث دقائق وآفات لا يعرفها إلا العلماء الفقهاء ، تارة فى نقلها وتارة فى كشف معناها وسنوضح ذلك إن شاء الله تعالى :

(**الحديث الأول**) : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ - خلق الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام على صورته - [1].

للناس فى هذا مذهبان : أحدهما السكوت عن تفسيره والثانى الكلام فى معناه .

(١) يقول الراغب الأصفهانى : الصورة أراد بها ما خص الإنسان بها من الهيئة المدركة بالبصر والبصيرة ، وبها فضله على كثير من خلقه ، وإضافته إلى الله سبحانه على سبيل الملك لا على سبيل البعضية والتشبيه تعالى عن ذلك ، وذلك على سبيل التشريف له كقوله بيت الله وناقة الله ونحو ذلك : ونفخت فيه من روحي .

واختلف أرباب هذا المذهب في الهاء إلى من تعود على ثلاثة أقوال :

أحدها : تعود إلى بعض بني آدم قال وذلك أن النبي ﷺ مرَّ برجل يضرب رجلاً وهو يقول : قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فقال ﷺ (إذا ضرب أحدكم فليتق الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته) .

وإنما خصَّ آدم بالذكر لأنه هو الذي ابتدئت خلقة وجهه على هذه الصورة التي احتذى عليها من بعده ، وكأنه نبه على أنك سببت آدم وأنت من ولده ، وذلك مبالغة في زجره ، فعلى هذا تكون الهاء كناية عن المضروب [1] . ومن الخطأ الفاحش أن ترجع إلى (الله عز وجل) لقوله : ووجه من أشبه وجهك فإنه إذا نسبه إليه سبحانه كان تشبيهاً صريحاً .

وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال « إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورته » .

(١) مما أورده الرازي في تأويل هذا الخبر قوله: إن المراد منه إبطال قول من يقول إن آدم كان على صورة أخرى ، مثل ما يقال إنه كان عظيم الجثة طويل القامة بحيث يكون رأسه قريباً من السماء فالنبي عليه السلام أشار إلى إنسان معين (وهو المضروب) وقال ـ إن الله خلق آدم على صورته ـ أي كان شكل آدم مثل شكل هذا الإنسان من غير تفاوت البتة . (ز)

القول الثانى : أن الهاء كناية عن اسمين ظاهرين ، فلا يصلح أن تصرف إلى الله عز وجل ، لقيام الدليل أنه تعالى ليس بذى صورة ، فعادت إلى آدم .

ومعنى الحديث أن الله تعالى خلق آدم على صورته التى خلقه عليها تاماً ، لم ينقله من نطفة إلى علقة كبنيه [1] . هذا مذهب أبى سليمان الخطابى ، وقد ذكره ثعلب فى أماليه .

القول الثالث : أنها تعود إلى الله تعالى وفى معنى ذلك قولان : أحدهما أن تكون صورة ملك ، لأنها فعله وخلقه فتكون إضافتها إليه من وجهين : أحدهما التشريف بالإضافة كقوله تعالى ﴿ وطهر بيتى للطائفين ﴾ والثانى ابتدعها لا على مثال سبق . والقول الثانى أن تكون الصورة بمعنى الصفة تقول « هذا صورة هذا الأمر » أى صفته ، ويكون خلق آدم على صفته من الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والإرادة، فميزه بذلك عن جميع الحيوانات ، ثم ميزه على الملائكة بصفة التعالى حين أسجدهم له ، والصورة ها هنا معنوية لا صورة تخاطيط .

---

(١) ومن الوجوه التى سردها الفخر فى هذا المقام قوله : أنه تعالى لما عظم أمر آدم بجعله مسجود الملائكة ، ثم إنه أتى بتلك الزلة فالله تعالى لم يعاقبه بمثل ما عاقب به غيره فإن نقل أن الله تعالى أخرجه من الجنة وأخرج معه الحية والطاووس وغير تعالى خلقهما ، مع أنه لم يغير خلقة آدم بل تركه على الخلقة الأولى إكراماً له وصوناً له عن عذاب المسخ هـ . وذهب البيهقى هذا المذهب . (ز)

وقد ذهب أبو محمد بن قتيبة [1]. فى هذا الحديث إلى مذهب قبيح فقال : « لله تعالى صورة لا كالصور فخلق آدم عليها » وهذا تخليط وتهافت ، لأن معنى كلامه أن صورة آدم كصورة الحق تعالى .

وقال القاضى (أبو يعلى) يطلق على الحق تعالى تسمية الصورة لا كالصور كما أطلقنا اسم ذاته .

وهذا تخليط لأن الذات بمعنى شيء ، وأما الصورة فهى هيئة وتخاطيط وتأليف ، ويفتقر إلى مصور ومؤلف .

وقول القائل « لا كالصور» نقض لما قاله ، وصار بمثابه من يقول « جسم لا كالأجسام » فإن الجسم ما كان مؤلفاً فإذا قال « لا كالأجسام » نقض ما قال .

* * *

(**الحديث الثانى**) : روى عبد الرحمن بن عياش عن النبى ﷺ أنه قال : رأيت ربى فى أحسن صورة فقال لى فيم يختصم الملأ الأعلى يا محمد ؟ قلت أنت أعلم يا رب فوضع كفه بين كتفىَّ فوجدت بردها بين ثديى فعلمت ما فى السموات والأرض .

---

(١) هو صاحب التصانيف أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة أحد أئمة الأدب ، إخبارى ، قليل الرواية ، قد يعتمد فى التشبيه على ما يرويه من كتب أهل الكتاب ، يتهم بالنصب ، كذبه الحاكم ووثقه غيره ، مات عام ست وسبعين ومائتين . (ز)

قال الإمام أحمد : أصل هذا الحديث وطرقه مضطربة وقد روى من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : أتانى آت فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الأعلى فقلت لا أدرى فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثديى فعرفت كل شيء يسألنى عنه وروى من حديث ثوبان قال خرج علينا رسول الله ﷺ بعد صلاة الصبح فقال : إن ربى أتانى الليلة فى أحسن صورة فقال لى : يا محمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أعلم يا رب ، فوضع كفه بين كتفى حتى وجدت برد أنامله فى صدرى فتجلى لى ما بين السماء والأرض .

وهذه أحاديث مختلفة وأحسن طرقها يدل على أن ذلك كان فى النوم ورؤيا المنام وهم والأوهام لا تكون حقائق [١] . وأن الإنسان يرى كأنه يطير أو كأنه قد صار بهيمة وقد رأى أقوام فى منامهم الحق سبحانه على ما ذكرنا ، وإن قلنا إنه رآه فى اليقظة فالصورة إن قلنا ترجع إلى الله تعالى فالمعنى رأيته على أحسن صفاته من الإقبال علىّ والرضا عنى ، وإن قلنا : ترجع إلى رسول الله ﷺ فالمعنى رأيته وأنا على أحسن صورة [٢] . وروى ابن حامد من حديث ابن عباس

---

(١) يقول الحافظ ابن حجر فى مثل هذا المقام : ولا التفات إلى من تعقب كلامه بقوله : فى الحديث الصحيح (أن رؤيا الأنبياء وحى) فلا يحتاج إلى تعبير لأنه كلام من لم يمعن النظر فى هذا المحل ، فقد تقدم فى كتاب التعبير أن بعض رؤى الأنبياء يقبل التعبير ا هـ . (ز)

(٢) بقى على المؤلف أن يتكلم على عجز الحديث ، ونحن ننقل عن (أساس التقديس للفخر الرازى) ما بقى بالغرض: وأما قوله (وضع يده بين كتفى) ففى وجهان : الأول المراد =

رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال : لما أُسرى بى رأيت الرحمن تعالى فى صورة شاب أمرد له نور يتلألأ وعن عن [١] . وصفه لكم فسألت ربى أن يكرمنى برؤيته وإذا كأنه عروس حين كشف عنه حجابه مستو على عرشه وهذا الحديث كذب قبيح ما روى قط لا فى صحيح ولا فى كذب فأبعد الله تعالى من عمله ، فقد كنا نقول ذاك منام فيذكر هذا ليلة الإسراء كافأهم الله عز وجل وجزاهم النار ، يشبهون الله سبحانه وتعالى بعروس ما كتب هذا مسلم ، وأما حديث البرد فى الحديث الماضى فإن البرد عرض لا يجوز أن ينسب إلى الله عز وجل .

وقد ذكر القاضى (أبو يعلى) فى كتابة الكناية (رأيت ربى فى أحسن صورة) أى فى أحسن موضع .

(**الحديث الثالث**) : روت أم الطفيل امرأة أبيّ أنها سمعت رسول الله ﷺ يذكر أنه رأى ربه عز وجل فى المنام فى أحسن صورة شاباً منوراً فى خضر ، فى رجليه نعلان من ذهب وعلى وجهه فراش من ذهب . هذا الحديث يرويه نعيم بن حماد قال ابن

= منه المبالغة فى الاهتمام بحاله والاعتناء بشأنه . الثانى أن يكون المراد من اليد النعمة ، وأما قوله (بين كتفي) فإن صح فالمراد منه أنه أوصل إلى قلبه من أنواع اللطف والرحمة ، وأما قوله (فوجدت بردها) فيحتمل أن المعنى برد النعمة وروحها وراحتها ، من قولهم : عيش بارد إذا كان رغدا ، والذى يدل على أن المراد منه كمال المعارف قوله عليه السلام فى آخر الحديث (فعلمت ما بين المشرق والمغرب) ا هـ (ز)

(١) هكذا فى الأصل المحفوظ لدينا .

عدى كان يضع الحديث ، وسئل الإمام أحمد فأعرض بوجهه عنه وقال : حديثه منكر مجهول . وعن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال رأيت ربى جعداً أمرد عليه حلة خضراء . وهذا مروى. من طريق حماد بن سلمة وكان ابن أبى العوجاء الزنديق ربيب حماد ، وكان يدس فى كتبه هذه الأحاديث لا ثبوت لها ولا يحسن أن يحتج بها .

وقد أثبت القاضى (أبو يعلى) صفات لله تعالى فقال قوله شاب وأمرد وجعد وقطط والفراش والنعلان والتاج ، قال ثبت ذلك تسمية لا نعقل معناها . ومن يثبت بالمنام وما صح نقله صفات ! وقد عرفنا معنى الشاب والأمرد ، ثم يقول « ما هو كما نعلم » كمن يقول قام فلان وما هو بقائم ، وقعد وما هو بقاعد ، قال ابن عقيل هذا الحديث نجزم بأنه كذب ثم لا تنفع ثقة الرواة إذا كان المتن مستحيلاً وصار هذا كما لو أخبرنا جماعة من المعدلين بأن جمل البزاز دخل فى خرم إبرة الخياط فإنه لا حكم لصدق الرواة مع استحالة خبرهم .

* * *

(**الحديث الرابع**) : روى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : ليلة أُسرى بى رأيت كل شىء من ربى حتى رأيت تاجا مخوصا من لؤلؤ هذا يرويه أبو القاسم محمد بن اليسع عن قاسم بن إبراهيم ، قال الأزهرى كنت أقعد مع ابن اليسع ساعة فيقول : قد ختمت الختمة منذ قعدت وقاسم ليس بشىء ، قال الدارقطنى هو كذاب كافأ الله تعالى من عمل هذا .

(**الحديث الخامس**) : روى البخارى ومسلم في الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال (يجمع الله الناس فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبعون ما كانوا يعبدون وتبقى هذه الأمة بمنافقيها فيأتيهم الله تعالى فى غير الصورة التى يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون : نعوذ بالله تعالى منك ، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا ، فإذا جاء ربنا عرفناه ، فيأتيهم فى الصورة التى يعرفونها فيقول أنا ربكم ، فيقولون : أنت ربنا) .

وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد عن النبى ﷺ أنه قال (فيأتيهم الجبار فى صورة غير صورته التى رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم ، فيقولون أنت ربنا فلا يكلمه إلا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيقال هل بينكم وبينه آية تعرفونها فيقولون الساق فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن) [١] .

اعلم أنه يجب على كل مسلم أن يعتقد أن الله سبحانه وتعالى لا يجوز عليه الصورة التى هى هيئة وتأليف ؛ قال أبو سليمان الخطابى معنى فيأتيهم الله تعالى أى يكشف الحجاب لهم حتى يرونه عياناً كما كانوا عرفوه فى الدنيا استدلالاً فرؤيته بعد أن لم يكونوا رأوه بمنزلة إتيان الآتى لم يكن شوهد قبل .

وقال بعض العلماء يأتيهم بأهوال القيامة وصور

---

(١) لقدم الكلام على هذا الحديث عند تفسير قوله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ﴾ .

الملائكة [١] . ولم يعهدوا مثله فى الدنيا فيستعيذون من تلك الحال ويقول: إذا جاء ربنا عرفناه أى إذا أتانا نعرفه من لطفه وهى الصورة التى يعرفون فيكشف عن ساق أى عن شدة كأنه يرفع تلك الشدائد المهولة فيسجدون شكرا ؛ وقال بعضهم صورة يمتحنهم بها كما يبعث الدجال فيقولون نعوذ بالله تعالى منك . وفى حديث أبى موسى عن رسول الله ﷺ (أن الناس يقولون إن لنا ربا كنا نعبده فى الدنيا فيقال أو تعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم، فيقال: كيف تعرفونه ولم تروه ؟ فيقولون إنه لا شبيه له ، فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله عز وجل فيخرون سجداً) قال ابن عقيل : الصورة على الحقيقة تقع على التخاطيط والأشكال وذلك من صفات الأجسام ، والذى صرفنا عن كونه جسماً من الأدلة القطعية قوله تعالى ﴿ ليس كمثله شىء ﴾ ومن الأدلة العقلية أنه لو كان جسماً كانت صورته عرضاً ولو كان حامل الأعراض جاز عليه ما يجوز على الأجسام وافتقر إلى صانع ولو كان جسماً مع قدمه جاز قدم أحدنا . فأحوجتنا الأدلة إلى تأويل صورة يليق إضافتها إليه وما ذلك إلا الحال الذى يوقع عليها أهل اللغة اسم صورة فيقولون كيف صورتك مع فلان ، وفلان على صورة من الفقر ؛ والحال التى أنكروها العسف والتى يعرفونها اللطف فيكشف

(١) باعتبار (فى) بمعنى الباء ، ونظيره قول ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴾ أى بظلل من الغمام على ما نقله الفخر الرازى فى كتابه (أساس التقديس) . (ز)

عن الشدة ، والتغير إنما يليق بفعله فأما ذاته فتعالت عن التغير ، نعوذ بالله أن يحمل الحديث على ما قالته المجسمة أن الصورة ترجع إلى ذاته وأن ذلك تجويز التغير على صفاته فخرجوه فى صورة إن كانت حقيقة فذاك استحالة وإن كان تخيلاً فليس ذاك هو إنما يريهم غيره .

* * *

(**الحديث السادس**) : روى مسلم فى صحيحه من حديث المغيرة عن رسول الله ﷺ أنه قال « لا شخص أغير من الله ولذلك حرم الفواحش ولا شخص أحب إليه المدحة من الله » .

لفظة « الشخص » يرويها بعض الرواة ويروى بعضهم « لا شىء أغير من الله » والرواة يروون بما يظنونه المعنى ، وكذلك « شخص » من تغيير الرواة وقد يكون المعنى ليس منكم أيها الأشخاص أغير من الله لأنه لما اجتمع الكل بالذكر سمى بأسمائهم والشخص لا يكون إلا جسماً مؤلفاً ومثل هذا قول ابن مسعود : وما خلق من جنة ولا نار أعظم من آية الكرسى ؛ قال الإمام أحمد بن حنبل : الخلق يرجع إلى الجنة والنار لا إلى القرآن ويجوز أن يكون هذا من باب المستثنى من غير الجنس كقوله تعالى : ﴿ ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ﴾ وأما الغيرة فقد قالت العلماء : كل من غار من شىء أسندت كراهته له ، فلما حرم الفواحش ووعد عليها وصفه رسول الله ﷺ بالغيرة .

الحديث السابع : روى أبو موسى عن النبى ﷺ قال « إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض » [١] .

وإنما أضيفت القبضة لأن أفعال المملوك تنسب إلى المالك وذلك أنه بعث من قبض كقوله تعالى ﴿ فطمسنا أعينهم ﴾ وقد روى محمد بن سعد فى كتاب الطبقات أن الله تعالى بعث إبليس فأخذ من أديم الأرض فخلق منه آدم فمن ثم قال ﴿ أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ .

* * *

الحديث الثامن : روى سلمان قال إن الله لما خمَّر طينة آدم وضرب بيديه فيه فخرج كل طيب فى يمينه وكل خبيث فى يده الأخرى ثم خلط بينهما فمن ثم يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى .

وهذا مرسل ، وقد ثبت بالدليل أن الحق سبحانه وتعالى لا يوصف بمس شيء ، وإن صح فيضرب مثلاً لما جرت به الأقدار ، وقال القاضى (أبو يعلى) : تخمير الطين وخلط بعضه ببعض مضاف إلى اليد التى خلق بها آدم وهذا التشبيه المحض .

* * *

(١) يقول السيوطى فى الجامع الكبير : أخرجه أبو داود والترمذى وأحمد والحاكم والبيهقى فى السنن والطبرانى فى الكبير وابن سعد .

الحديث التاسع : روى عبيد بن حنين قال بينا أنا جالس فى المسجد إذ جاء قتادة بن النعمان فجلس فتحدث ، ثم قال انطلق بنا إلى أبى سعيد الخدرى فإنه قد أخبرت أنه قد اشتكى ، فانطلقنا حتى دخلنا على أبى سعيد فوجدناه مستلقياً واضعاً رجله اليمنى على اليسرى ، فسلمنا عليه وجلسنا ، فرفع قتادة يده إلى رجل أبي سعيد الخدرى وقرصها قرصة شديدة فقال أبو سعيد : سبحان الله يا ابن أم أوجعتنى ، قال ذلك أردت أن رسول الله ﷺ قال: إن الله تعالى لما قضى خلقه استلقى ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى ثم قال لا ينبغى لأحد من خلقى أن يفعل هذا ، قال أبو سعيد لا جرم لا أفعله أبداً [1] .

قال عبد الله بن حنبل : ما رأيت هذا الحديث فى دواوين الشريعة المعتمد عليها ؛ وأما عبيد بن حنين فقال البخارى : لا يصح حديثه فى أهل المدينة . وفى الحديث علة أخرى وهى أن قتادة بن النعمان مات فى خلافة عمر رضى الله تعالى عنه وعبيد بن حنين مات سنه خمس ومائة وله خمس وسبعون سنة فى قول الواقدى ،

(١) روى الحافظ البيهقى هذا الخبر فى (الأسماء والصفات) وقال : فهذا حديث منكر ولم أكتبه إلا من هذا الوجه وفليح بن سليمان ـ أحد رواته ـ مع كونه من شرط البخارى ومسلم فلم يخرجا حديثه هذا فى الصحيح وهو عند الحفاظ غير محتج به ، عن يحيي بن معين يقول : فليح بن سليمان لا يحتج بحديثه ، عنه يقول : فليح ضعيف ، وعن النسائى أنه قال : فليح ليس بالقوى . قال الشيخ : فإذا كان فليح بن سليمان المدنى مختلفاً فى جواز الاحتجاج به عند الحفاظ لم يثبت بروايته مثل هذا الأمر العظيم ا هـ . وذكر أيضاً علة عدم اجتماع عبيد بقتادة . (ز)

فتكون روايته عن قتادة بن النعمان منقطعة ، قال الإمام أحمد : ثم لو صح طريقه احتمل أن يكون رسول الله ﷺ حدَّث به عن بعض أهل الكتاب على طريق الإنكار عليهم فلم يفهم قتادة إنكاره .

ومن هذا الفن حديث رويناه أن الزبير سمع رجلا يحدِّث عن رسول الله ﷺ فاستمع له الزبير حتى إذا قضى الرجل حديثه قال الزبير أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ فقال الرجل نعم ، قال هذا وأشباهه مما يمنعان أن نحدِّث عن النبى ﷺ قد لعمرى سمعت هذا من رسول الله ﷺ وأنا يومئذ حاضر ولكن رسول الله ﷺ ابتدأ بهذا الحديث فحدثناه عن رجل من أهل الكتاب حدثه يومئذ فجئت أنت بعد انقضاء صدر الحديث وذكر الرجل الذى هو من أهل الكتاب فظننت أنه من حديث رسول الله ﷺ قلت وغالب الظن أن الإشارة فى حديث الزبير إلى حديث قتادة فإن أهل الكتاب قالوا : إن الله تعالى لما خلق السموات والأرض استراح فنزل قوله تعالى ﴿ وما مسنّا من لُغوب ﴾ فيمكن أن يكون رسول الله ﷺ حكى ذلك عنهم ولم يسمع قتادة أول الكلام .

وقد روى عبد الرحمن بن أحمد فى كتاب السنة قال رأيت الحسن قد وضع رجله اليمنى على شماله وهو قاعد فقلت يا أبا سعيد تكره هذه القعدة فقال قاتل الله اليهود ثم قرأ قوله تعالى ﴿ ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما فى ستة أيام وما مسنا من لغوب ﴾

فعرفت ما عنى به فأمسكت . قلت وإنما أشار الحسن إلى ما ذكرناه عن اليهود .

وقد صح عن رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر رضى الله عنهما أنهم كانوا يستلقون ويضعون رجلاً على رجل ، وإنما يكره هذا لمن لا سراويل له والله أعلم .

* * *

الحديث العاشر : روى القاضى (أبو يعلى) عن حسان بن عطية أن رجلاً من المشركين سبَّ رسول الله ﷺ ، فحمل عليه رجل من المسلمين فقتله ، وقتل الرجل ، فقال رسول الله ﷺ : ما تعجبون من نصر الله تعالى ورسوله لقى الله تعالى متكئاً فقعد له .

هذا حديث مقطوع بعيد عن الصحة ، ولو كان له وجه كان المعنى : فأقبل الله تعالى عليه وأنعم .

* * *

الحديث الحادى عشر : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أنس عن النبى ﷺ أنه قال « لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوى بعضها إلى بعض » [1].

---

(١) يقول جار الله الزمخشرى فى كتابه (الفائق فى غريب الحديث) : وضع القدم على الشىء مثل للردع والقمع ، فكأنه قال : يأتيها أمر الله فيكفها عن طلب المزيد فترتدع هـ . =

قلت : الواجب علينا أن نعتقد أن ذات الله عز وجل لا تتبعض ولا يحويها مكان ولا توصف بالتغير ولا بالانتقال ، وقد حكى أبو عبيد الهروى عن الحسن البصرى أنه قال : القدم هم الذين قدمهم الله لها من شرار خلقه وأثبتهم لها،وقال أبو منصور الأزهرى : القدم الذين تقدم القول بتخليدهم فى النار ، يقال لما قدم قدم ولما هدم هدم ، ويؤيد هذا قوله (وأما الجنة فينشئ لها خلقا) .

ووجه ثان أن كل قادم عليها يسمى قدما فالقدم جمع قادم ، ومن يرويه بلفظ (الرجل) فإنه يقال : (رجل من جراد) فيكون المراد يدخلها جماعة يشبهون فى كثرتهم الجراد فيسرعون التهافت فيها .

وقال القاضى (أبو يعلى) : القدم صفة ذاتيه ، قال ابن الزاغونى : يقول إنما وضع قدمه فى النار ليخبرهم أن أصنامهم تحترق وأنا لا أحترق.وهذا إثبات تبعيض وهو من أقبح الاعتقادات .

ورأيت أبا بكر بن خزيمة قد جمع كتاباً فى الصفات [١] . وبوبه فقال : باب إثبات اليد ، باب إمساك السموات على أصابعه ، باب إثبات الرجل وإن رغمت المعتزلة ، ثم قال قال الله تعالى ﴿ ألهم

= وفى أساس البلاغة : من المجاز « فيضع قدمه عليها » أى فيسكنها ويكسر سورتها كما يضع الرجل قدمه على الشيء المضطرب فيسكنه .

(١) وهو الكتاب الذى يسميه (كتاب التوحيد) ، والإمام فخر الدين الرازى يقول عنه : (وهو فى الحقيقة كتاب الشرك) . (ز)

أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها ﴾ فأعلمنا أن مالا يد له ولا رجل فهو كالأنعام .

قال ابن عقيل : تعالى الله أن يكون له صفة تشغل الأمكنة ، وليس الحق تعالى بذى أجزاء وأبعاض فيعالج بها ، ثم إنه أليس يعمل فى النار أمر وتكوينه حتى يستعين بشىء من ذاته ويعالجها بصفة من صفاته وهو القائل ﴿ كونى برداً وسلاما ﴾ فما أسخف هذا الاعتقاد وأبعده عن مكون الأملاك والأفلاك ، وقد صرح بتكذيبهم فقال تعالى ﴿ لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها ﴾ فكيف يظن بالخالق أن يردها ، تعالى الله عن تجاهل المجسّمة .

* * *

الحديث الثانى عشر : روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « ضرس الكافر فى النار مثل أحد وكثافة جلده اثنان وأربعون ذراعاً بذراع الجبار » [(١)].

قال أبو عمر الزاهد : الجبار ها هنا الطويل ، يقال نخلة جبارة [(٢)]. قال القاضى (أبو يعلى) نحملها على ظاهرها ، والجبار

---

(١) يقول الشيخ اسماعيل العجلونى فى كتابه (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس) : رواه مسلم عن أبى هريرة مرفوعا وأحمد والطبرانى والبيهقى عن ابن عمر مرفوعاً ، والترمذى عن أبى هريرة (بألفاظ متقاربة) .

(٢) قال ابن قتيبة فى كتابه (تأويل مختلف الحديث) فى كلامه على هذا الحديث : ونحن نقول أن لهذا الحديث مخرجاً حسناً إن كان النبى ﷺ أراده وهو أن يكون الجبار ههنا الملك قال الله تعالى ﴿ وما أنت عليهم بجبار ﴾ أى بملك مسلط والجبابرة الملوك، وهذا =

هو الله عز وجل . قلت : واعجباً أذهبت العقول إلى هذا الحد ! أوَ يجوز أن يقال : إن الذراع اثنان وأربعون مرة حتى يبلغ جلد الكافر ويضاف إلى الذات القديمة ! تعالى الله علوا كبيراً .

* * *

الحديث الثالث عشر : روى القاضى (أبو يعلى) عن مجاهد أنه قال : إذا كان يوم القيامة يذكر داود عليه الصلاة والسلام ذنبه فيقول الله تعالى كن أمامى فيقول يا رب ذنبى ذنبى ، فيقول كن خلفى فيقول يا رب ذنبى فيقول له خذ بقدمى ، وفى لفظ عن ابن سيرين قال إن الله تعالى ليقرب داود حتى يضع يده على فخذه .

والعجب من إثبات ذلك للحق سبحانه وتعالى بأقوال التابعين وما تصح عنهم ولو صحت فإنما يذكرونها عن أهل الكتاب كما يذكر وهب بن منبه ؛ قال القاضى (أبو يعلى) نحمله على ظاهره لأننا لا نثبت قدماً وفخذاً هو جارحة .

واعجباً لقد كملوا هيئة البدن بإثبات فخذ وساق وقدم ووجه ويدين وأصابع وخنصر وإبهام وصعود ونزول ، ويقولون نحمل على ظاهرها وليست جوارح .

وهل يجوز لعاقل أن يثبت لله تعالى خلفاً وأماماً وفخذا ! ما

= كما يقول الناس : هو كذا وكذا ذراعاً بذراع الملك يريدون : بالذراع الأكبر ، وأحسبه ملكاً من ملوك العجم كان تام الذراع فنسب إليه .

ينبغي أن نحدث هؤلاء لأنا قد عرفنا الفخذ فيقال : ليس بفخذ والخلف ليس بخلف، ومثل هؤلاءً لا يحدثونْ فإنهم يكابرون العقول كأنهم يحدثون الأطفال .

* * *

الحديث الرابع عشر : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ « يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة » وفى أفراد مسلم من حديث ابن مسعود أن رسول الله ﷺ أخبر عن آخر من يدخل الجنة وضحك ، فقيل مم تضحك ؟ فقال من ضحك رب العالمين .

اعلم أن الضحك له معان ترجع إلى معنى البيان والظهور وكل من أبدى عن أمر كان مستوراً قيل قد ضحك ، يقال : « ضحكت الأرض بالنبات » إذا ظهر فيها وانفتق عن زهره ، كما يقال « بكت السماء » قال الشاعر :

كل يوم بأقحوان جديد   تضحك الأرض من بكاء السماء

وكذلك الضحك الذى يعترى البشر إنما هو انفتاح الفم عن الأسنان ، وهذا يستحيل على الله سبحانه وتعالى فوجب حمله على معنى أبدى الله تعالى كرمه وفضله .ومعنى (ضحكت لضحك ربى) أبديت عن أسنانى بفتح فمى لإظهار ربى كرمه وفضله . وقد روى فى حديث موقوف (ضحك حتى بدت لهواته وأضراسه) ذكره

الخلال فى كتاب السنة . وقال المروزى : قلت لأبى عبد الله : ما تقول فى هذا الحديث ؟ قال « يشفع » ثم يقول : على تقدير الصحة يحتمل أمرين : أحدهما أن يكون ذلك راجعاً إلى النبى ﷺ كأنه ضحك حين أخبر بضحك الرب جل جلاله حتى بدت لهواته وأضراسه وهذا هو الصحيح لو ثبت الحديث ؛ والثنى أن يكون تجوزاً عن كثرة الكرم وسعة الرضا كما جوز بقوله (ومن أتانى يمشى أتيته هرولة) .

قال القاضى (أبو يعلى) لا يمتنع الأخذ بظاهر الأحاديث وإمرارها على ظواهرها من غير تأويل .

قلت واعجباً قد أثبت لله تعالى صفات بأحاديث آحاد وألفاظ لا تصح وقد أثبت الأضراس ، فما عنده من الإسلام خبر .

* * *

الحديث الخامس عشر : روى القاضى (أبو يعلى) عن عبد الله بن عمر موقوفاً أنه قال « خلق الله تعالى الملائكة من نور الذراعين والصدر » .

وقد أثبت به القاضى ذراعين وصدراً لله عز وجل . وهذا قبيح لأنه حديث ليس بمرفوع ولا يصح ، وهل يجوز أن يخلق مخلوق من ذات القديم ! هذا أقبح مما ادعاه النصارى .

الحديث السادس عشر: روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابن عمر أن النبى ﷺ قال « يدنى المؤمن من ربه فيضع عليه كنفه فيقول تعرف ذنب كذا » .

قال العلمـــاء يدنيه من رحمته ولطفه ، قال ابن الأنبارى : كنفه حياطته وستره ، يقال : قد كنف فلان فلاناً إذا حاطه وستره وكل شىء ستر شيئاً فقد كنفه ، ويقال للترس كنيف لأن يستر صاحبه.

قال القاضى (أبو يعلى) يدنيه من ذاته . وهذا قول من لم يعرف الله سبحانه وتعالى ولا يعلم أنه لا يجوز عليه الدنو الذى هو مسافة . وكذلك قوله : « إنه ليدنو يوم عرفة » أى يقرب بلطفه وعفوه .

* * *

الحديث السابع عشر : روى مسلم فى أفراده من حديث معاوية بن الحكم قال : كانت لى جارية ترعى غنماً لى ، فانطلقت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب بشاة فصككتها صكة ، فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علىَّ فقلت ألا أعتقها ؟ قال ائتنى بها فقال لها : (أين الله تعالى) قالت فى السماء ، قال من أنا ؟ قالت رسول الله ، قال رسول الله ﷺ : (اعتقها فإنها مؤمنة) .

قلت قد ثبت عند العلماء أن الله تعالى لا تحويه السماء ولا الأرض ولا تضمه الأقطار، وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها .

* * *

الحديث الثامن عشر : رواه أبو رزين قال قلت : يا رسول الله أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : (كان فى عماء ما تحته هواء ولا فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء) [١].

العماء السحاب ، واعلم أن الفوق والتحت يرجعان إلى السحاب لا إلى الله تعالى و (فى) بمعنى فوق ، والمعنى : كان فوق السحاب بالتدبير والقهر . ولما كان القوم يأنسون بالمخلوقات سألوا عنها ، والسحاب من جملة خلقه ، ولو سئل عما قبل السحاب لأخبر أن الله تعالى كان ولا شىء معه ، كما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال (كان الله سبحانه وتعالى ولا شىء معه) ولسنا نختلف أن الجبار تعالى لا يعلوه شىء من خلقه بحال وأنه لا يحل فى الأشياء بنفسه ولا يزول عنها ، لأنه لو حل بها كان منها ولو زال عنها لنأى عنها ..

* * *

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده وابن جرير فى تهذيب الآثار والطبرانى فى الكبير وأبو الشيخ فى العظمة (جمع الجوامع للسيوطى) .

الحديث التاسع عشر : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال (ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول من يدعونى فأستجيب له) .

روى حديث النزول عشرون صحابياً ، وقد سبق القول أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغير ، فيبقى الناس رجلين :

أحدهما المتأول بمعنى أنه يقرب برحمته ، وقد ذكر أشياء بالنزول فقال تعالى (وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد) وإن كان معدنه فى الأرض ، وقال تعالى (وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج) ومن لم يعرف نزول الجمل كيف يتكلم فى الجمل .

والثانى الساكت عن الكلام فى ذلك مع اعتقاد التنزيه ، والواجب على الخلق اعتقاد التنزيه وامتناع تجويز النقلة ، وأن النزول الذى هو انتقال من مكان إلى مكان يفتقر إلى ثلاثة أجسام :جسم عال هو مكان لساكنه ، وجسم سافل ، وجسم منتقل من علو إلى سفل وهذا لا يجوز على الله عز وجل .

قال ابن حامد : هو على العرش بذاته مماس له وينزل من مكانه الذى هو فيه وينتقل . وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى . وقال القاضى (أبو يعلى) : النزول صفة ذاتية ولا نقول

نزول انتقال . وهذا مغالط ومنهم من قال يتحرك إذا نزل . وما يدرى أن الحركة لا تجوز على الله تعالى . وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك وهو كذب عليه [١] . ولو كان النزول صفة ذاتية لذاته كانت صفته كل ليلة تتجدد [٢] . وصفاته قديمة كذاته .

* * *

(١) حكى ذلك أبو يعلى فى طبقاته عن أحمد بطريق أبى العباس الأصطخرى ، وهو كما قال المصنف نقل مفترى . وعجيب من ابن تيمية كتبه فى معقوله - غير منكر - ما يرويه حرب ابن إسماعيل الكرمانى صاحب محمد بن كرام فى مسائله عن أحمد وغيره فى حقه سبحانه ... يتكلم ويتحرك .. / هـ . ونقل أيضاً عن نقض الدارمى - ساكتاً أو مقرا - الحى القيوم يفعل ما يشاء ويتحرك إذا شاء ويهبط ويرتفع إذا شاء ويقبض ويبسط ويقوم ويجلس إذا شاء لأن أمارة ما بين الحى والميت التحرك وكل حى متحرك لا محالة وكل ميت غير متحرك لا محالة ا هـ (أى ابن تيمية) حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال (كنزولى هذا) فنسب إلى التجسيم هـ .

(٢) مما يقوله ابن حزم الظاهرى فى حديث النزول : هذا إنما هو فعل يفعله الله تعالى فى سماء الدنيا من الفتح لقبول الدعاء وأن تلك الساعة من مظان القبول والإجابة والمغفرة للمجتهدين والمستغفرين والتائبين ، وهذا معهود فى اللغة تقول : نزل فلان عن حقه لى بمعنى وهبه لى وتطول به على ، ومن البرهان على أنه صفة فعل لا صفة ذات أن رسول الله ﷺ علق التنزل المذكور بوقت محدود وصح أنه فعل محدث فى ذلك الوقت مفعول حينئذ ، وقد علمنا أن ما لم يزل فليس متعلقاً بزمان البتة وقد بين رسول الله ﷺ فى بعض ألفاظ الحديث المذكور ما ذلك الفعل وهو أن ذكر عليه السلام أن الله يأمر ملكاً ينادى فى ذلك الوقت بذلك ، وأيضاً فإن ثلث الليل مختلف فى البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا تعالى فى ذلك الوقت لأهل كل أفق ، وأما من جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله فى إبطال القول بالجسم / هـ . (ز)

الحديث العشرين : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين عن أبى هريرة أن رجلا أتى النبى فقال إنى مجهود ، فقال ﷺ من يضيفه هذه الليلة ؟ فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يارسول الله ، فانطلق به إلى امرأته فقال هل عندك شيء ؟ قالت : لا إلا قوت صبيانى ، فقال : فعلليهم بشيء إذا أراد الصبية العشاء فنوميهم فإذا دخل ضيفنا فاطفئى السراج وأريه أنا نأكل فقعدوا وأكل الضيف فلما أصبح غدا على النبى ﷺ فقال : « لقد عجب الله تعالى من صنيعكما بضيفكما الليلة » .

وفى أفراد البخارى من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « عجب الله من قوم جر بهم فى السلاسل حتى يدخلهم الجنة » .

قال العلماء : العجب إنما يكون من شيء يدهم الإنسان مما لا يعلمه فيستعظمه وهو لا يليق بالخالق جل جلاله ، لكن معناه : عظم قدر ذلك الشيء عند الله لأن المتعجب من الشيء يعظم قدره عنده ، ومعنى السلاسل أكرهوا على الطاعة التى بها يدخلون ، وقال ابن الأنبارى : معنى عجب ربك : زادهم إنعاما وإحسانا فعبر فى هذا الحديث بالعجب عن ذلك .

* * *

الحديث الحادى والعشرون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « لله أشد

فرحاً بتوبة أحدكم من أحدكم بضالته إذا وجدها » .

قال المصنف : لما كان مسروراً بشيء راضياً قيل له فرح ، والمراد الرضا بتوبة التائب ، ولا يجوز أن يعتقد فى الله سبحانه وتعالى التأثر الذى يوجد فى المخلوقين ، فإن صفات الحق تعالى قديمة لا تحدث له صفة .

* * *

الحديث الثانى والعشرون : روى مسلم فى أفراده من حديث أبى موسى قال قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال « إن الله تعالى لاينام ولا ينبغى له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »[1] .

قوله (حجابه النور) ينبغى أن يعلم أن هذا الحجاب للخلق عنه لأنه لا يجوز أن يكون محجوباً ، لأن الحجاب يكون أكبر مما يستره وكما أنه لا يجوز أن يكون لوجوده ابتداء ولا انتهاء لا يصح أن يكون لذاته نهاية وإنما المراد أن الخلق محجوبون عنه كما قال تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ﴾ وأما السبحات فجمع سبحة ويقال أن السبحة جلال وجهه ومنه قوله (سبحان الله) إنما

(١) يقول النووى فى شرح صحيح مسلم : والتقدير : لو أزال المانع من رؤيته وهو الحجاب المسمى نوراً أو ناراً وتجلى لخلقه لأحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته . (ز) .

هو تعظيم له وتنزيه .

وقال القاضى (أبو يعلى) : لا يمنع إطلاق حجاب من دون الله تعالى لا على وجه الحد والمحاذاة . وهذا كلام مختلط يرضى به العوام .

* * *

الحديث الثالث والعشرون : روى ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال - إن أهل الجنة يرون ربهم تعالى فى كل جمعة فى رمال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة .

قوله (فى رمال الكافور) إشارة إلى الحاضرين ثمّ فى رمال الكافور وأقربهم منه أى أحظاهم عنده .

وفى حديث آخر : « المقسطون يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن » . وقال بعضهم « يمين العرش » وفى حديث سوق الجنة : ولا يبقى فى ذلك المجلس أحد إلا حاضره الله محاضرة ويروى خاضره بالخاء المعجمة . وهذا يرويه يوسف بن عبد الله وهو خطأ والمخاصرة المصافحة وقال القاضى (أبو يعلى) : لا يمتنع أن يكون الحق تعالى فى رمال الكافور . فقد أقر بالحصر ، ثم قال لا على وجه الانتقال . وهذا تلاعب ، ثم قال ولا يمتنع قربهم من الذات ، وهذا يضيع معه الحديث ، واستدل بقوله (ما منكم من أحد إلا سيخلو به ربه تعالى) وقال : الخلوة عبارة عن القرب ويجوز

القرب من الذات . وقد سبق ردُّ هذا .

* * *

الحديث الرابع والعشرون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابن مسعود قال جاء حبر إلى النبى ﷺ فقال يا محمد إن الله يمسك السموات يوم القيامة على إصبع والأرضين على إصبع والجبال والشجر على إصبع ، وفى لفظ والماء والثرى على إصبع ثم يهزهن فضحك رسول الله ﷺ ثم قال ﴿ وما قدروا الله حق قدره .. ﴾ .

قلت وظاهر ضحك النبى ﷺ الإنكار [1] ، واليهود مشبهة ونزول الآية دليل على إنكار الرسول ﷺ عليهم وفى معنى هذا الحديث قوله ﷺ « إن قلوب بنى آدم بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » ولما كان القلب بين إصبعين ذليلاً مقهوراً دل هذا على أن القلوب مقهورة لمقلبها .

وقال القاضى (أبو يعلى) : غير ممتنع حمل الخبر على ظاهره فى إثبات الأصابع صفات راجعة إلى الذات لأنَّا لا نثبت أصابع هى جارحة ولا أبعاض . وهذا كلام مخلط لأنه إما أن يثبت جوارح وإما أن يتأولها . وأما حملها على ظاهرها فظاهرها الجوارح

(١) يستبعد ابن خزيمة ـ وهو ممن وقع فى خطإ التشبيه ـ أن يكون ضحك الرسول ﷺ إنكاراً ، وقد نقض الحافظ ابن حجر زعمه هذا فى الفتح . (ز)

ثم يقول : ليست أبعاضا . فهذا كلام قائم قاعد ويضيع الخطاب لمن يقول هذا .

* * *

الحديث الخامس والعشرون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال « يطوى الله عز وجل السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ... » [١]. هكذا رواه مسلم وهى أتم الروايات ؛ قد ثبت بالدليل القاطع أن يد الحق سبحانه وتعالى ليست جارحة وأن قبضته الأشياء ليست مباشرة ولا له كف ، وإنما قربه رسول الله ﷺ إلى الأفهام بما يدركه الحس ، وأما رواية الشمال فضعيفة بالمرة ، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال « وكلتا يديه يمين مباركة » [٢]. وهذا يوهن ذكر الشمال .

* * *

الحديث السادس والعشرون : رواه الإمام أحمد رحمه الله فى

(١) فى الذى بين أيدينا من نسخ صحيح مسلم زيادة « ثم يطوى الأرضين بشماله » . (ز)

(٢) يقول القتيبى عند الكلام على هذا الحديث : إنما أراد بذلك معنى التمام والكمال لأن كل شيء فمياسره تنقص عن ميامنه فى القوة والبطش والتمام ، وكانت العرب تحب التيامن وتكره التياسر لما فى اليمين من التمام وفى اليسار من النقص ، ويجوز أن يريد العطاء باليدين جميعاً لأن اليمنى هى المعطية فإذا كانت اليدان يمينين كان العطاء بهما وإلى هذا ذهب المرار حين قال :

وأن على الإوانة من عقيل فتى كلتا اليدين له يمين (ز)

مسنده من حديث أنس عن النبى ﷺ فى قوله تعالى ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ قال قال هكذا يعنى أنه أخرج طرف الخنصر ، وفى لفظ فأومأ بخنصره فساخ . وروى ابن حامد ﴿ فلما تجلى ربه للجبل ﴾ قال خرج منه أول مفصل من خنصره .

هذا الحديث تكلم فيه علماء الحديث وقالوا : لم يروه عن ثابت غير حماد بن سلمة ، وكان ابن العوجاء الزنديق قد أدخل على حماد أشياء فرواها فى آخر عمره ، ولذلك تجافى بعض أصحاب الصحيح الإخراج عنه ، ومخرج الحديث سهل وذلك أن النبى ﷺ كان يقربه إلى الأفهام بذكر الحسيات فوضع يده على خنصره إشارة إلى أن الله تعالى أظهر اليسير من آياته .

* * *

الحديث السابع والعشرون : روى القاضى (أبو يعلى) عن عكرمة أنه قال إذا أراد الله عز وجل أن يخوف عباده أبدى عن بعضه إلي الأرض فعند ذلك تتزلزل وإذا أراد الله أن يدمدم على قوم تجلى لهم .

قال القاضى (أبو يعلى) : (أبدى عن بعضه) هو على ظاهره وهو راجع إلى الذات على وجه لا يفضى إلى التبعيض .

قلت : ومن يقول أبدى عن بعض ذاته وما هو بعض لا يكلم وإنما المراد أبدى عن آياته .

* * *

الحديث الثامن والعشرون : روى أبو الأخمص الجمحى عن رسول الله ﷺ قال له : لعلك تأخذ موساك فتقطع أذن بعضها فتقول هذه نحر ، وتشق أذن الأخرى وتقول صرم ؟ قال : نعم ، قال : فلا تفعل فإن موسى الله تعالى أحد من موساك وساعد الله تعالى أشد من ساعدك .

قال القاضى (أبو يعلى) : لا يمتنع حمل الخبر على ظاهره فى إثباته الساعد صفة لذاته . قلت : المراد بالساعد القوة لأن قوة الإنسان فى ساعده وكان ينبغى أن يثبت الموسى أيضاً .

* * *

الحديث التاسع والعشرون : روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « إن العبد إذا قام إلى الصلاة فإنه بين عينى الرحمن » .

قد ذكرنا صفة العين فى الآيات المذكورة قبل الأحاديث ، والمراد بالحديث أن الله تعالى يشاهد المصلى فليتأدب وكذلك قوله « فإن الله تعالى قبل وجهه » أى يراه .

* * *

الحديث الثلاثون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ دخل عليها وعندها امرأة فقال ﷺ من هذه قالت فلانة تذكر من صلاتها فقال ﷺ « مه عليكم

ما تطيقون فو الله لا يمل الله تعالى حتى تملوا » وفي لفظ « لا يسأم الله تعالى حتى تسأموا » .

قال العلماء معنى الحديث لا يمل الله تعالى وإن مللتم كما قال الشاعر :

صلَيت منى هذيل بخرق ... لا يملُّ الشرَّ حتى يملوا

المعنى لا يملُّ وإن ملوا وإلا لم يكن له فضل عليهم . وقال قوم : من ملَّ من شيء تركه ، والمعنى لا يترك الثواب ما لم يتركوا العمل ، وأما الملل الذى هو كراهة الشيء والاستثقال له ونفور النفس عنه والسآمة منه فمحال فى حقه تعالى لأنه يقتضى تغيره وحلول الحوادث فى حقه .

* * *

الحديث الحادى والثلاثون : روت خولة بنت حكيم عن النبى ﷺ أنه قال « إن آخر وطأة وطئها الرحمن بوجٍّ » .

وج : واد بالطائف وهى آخر وقعة أوقعها الله تعالى بالمشركين على يد رسول الله ﷺ ومنه قوله ﷺ « اللهم اشدد وطأتك على مضر » مأخوذ من القدم وإلى هذا ذهب ابن قتيبة وغيره ، قال القاضى (أبو يعلى) غير ممتنع على أصولنا حمل هذا الخبر على ظاهره وأن ذلك معنى بالذات دون الفعل لأنَّا حملنا قوله ينزل ويضع قدمه فى النار على الذات . وهذا الرجل يشير بأصولهم إلى ما يوجب

التجسيم والانتقال والحركة وهذا مع التشبيه بعيد عن اللغة ومعرفة التواريخ وأدلة المعقول وإنما اغتر بحديث روى عن كعب أنه قال (وجّ مقدس منه عرج الرب إلى السماء ثم قضى خلق الأرض) وهذا لو صح عن كعب احتمل أن يكون حاكياً عن أهل الكتاب وكان يحكى عنهم كثيراً ولو قدرناه من قوله كان معناه أن ذلك المكان آخر ما استوى من الأرض لما خلقت ثم عرج الرب أى عمد إلى خلق السماء وهو قوله تعالى ﴿ ثم استوى إلى السماء وهى دخان) ويروى عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال (لما أسرى بى مر بى جبريل عليه الصلاة والسلام حتى أتى الصخرة فقال : يا محمد من هاهنا عرج ربك إلى السماء) وهذا يرويه بكر بن زياد وكان يضع الحديث على الثقات . فإن قيل قال ابن عباس رضى الله عنهما (استوى إلى السماء) صعد قلنا : صعد أمره إذا لا يجوز عليه الانتقال والتغير .

* * *

واعلم أن الناس فى أخبار الصفات على ثلاث مراتب : (أحدها) إمرارها على ما جاءت من غير تفسير ولا تأويل إلا أن تقع ضرورة كقوله تعالى ﴿ وجاء ربك ﴾ أى جاء أمره وهذا مذهب السلف .

«المرتبة الثانية» التأويل ، وهو مقام خطر [1] .

«والمرتبة الثالثة» : القول فيها بمقتضى الحس ، وقد

---

(١) يقول فى شرح المشكاة : قال النووى فى شرح مسلم : فى هذا الحديث (حديث النزول) وشبهه من أحاديث الصفات وآياتها مذهبان مشهوران : فمذهب جمهور السلف وبعض المتكلمين الإيمان بحقيقتها على ما يليق به تعالى وأن ظاهرها المتعارف فى حقنا غير مراد ولا نتكلم فى تأويلها مع اعتقادنا تنزيه الله سبحانه عن سائر سمات الحدوث ، والثانى مذهب أكثر المتكلمين وجماعة من السلف وهو محكى عن مالك والأوزاعى إنما يتأول على ما يليق بها بحسب بواطنها فعليه الخبر مؤول بتأويلين أى المذكورين . وبكلامه وبكلام الشيخ الربانى أبى أسحاق الشيرازى وإمام الحرمين والغزالى وغيرهم من أئمتنا وغيرهم يعلم أن المذهبين متفقان على صرف تلك الظواهر كالمجيء والصورة والشخص والرجل والقدم واليد والوجه والغضب والرحمة والاستواء على العرش والكون فى السماء وغير ذلك عما يفهمه ظاهرها لما يلزم عليه من محالات قطعية البطلان تستلزم أشياء يحكم بكفرها بالإجماع ، فاضطر جميع الخلف والسلف إلى صرف اللفظ عن ظاهره ، وإنما اختلفوا هل نصرفه عن ظاهره معتقدين اتصافه سبحانه بما يليق بجلاله وعظمته من غير أن نؤوله بشىء آخر وهو مذهب أكثر أهل الخلف وهو تأويل تفصيل ولم يريدوا بذلك مخالفة السلف الصالح معاذ الله أن يظن بهم ذلك وإنما دعت الضرورة فى أزمنتهم لذلك لكثرة المجسمة والجهمية وغيرهما من فرق الضلال واستيلائهم على عقول العامة ، فقصدوا بذلك ردعهم وبطلان قولهم ومن ثمت اعتذر كثير منهم وقالوا : لو كنا على ما كان عليه السلف الصالح من صفاء العقائد وعدم المبطلين فى زمنهم لم نخض فى تأويل شىء من ذلك وقد علمت أن مالكاً والأوزاعى وهما من كبار السلف أولا الحديث تأويلاً تفصيلياً وكذلك سفيان الثورى أول الاستواء على العرش بقصد أمره ونظيره(ثم استوى إلى السماء) أى قصد إليها ومنهم الإمام جعفر الصادق ، بل قال جمع منهم ومن الخلف : أن معتقد الجهة كافر كما صرح به العراقى وقال أنه قول لأبى حنيفة ومالك والشافعى والأشعرى والباقلانى ، وقد اتفق سائر الفرق على تأويل نحو ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ﴾ الآية ﴿ فأينما تولوا فثم وجه الله ﴾ ﴿ ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ﴾ و (قلب المؤمن بين إصبعين من أصبع الرحمن) و (الحجر الأسود يمين الله فى الأرض)وهذ الاتفاق يبين لك صحة ما اختاره المحققون أن الوقف على (الراسخون فى العلم) لا الجلالة . قلت الجمهور على أن الوقف على (إلا الله) وعدوا وقفه وقفاً =

= لازماً وهو الظاهر لأن المراد بالتأويل معناه الذى أراده تعالى وهو فى الحقيقة لا يعلمه إلا الله جل جلاله ولا إله غيره ، وكل من تكلم فيه تكلم بحسب ما ظهر له ولم يقدر أحد أن يقول إن هذا التأويل هو مراد الله جزماً ففى التحقيق الخلاف لفظى ولهذا اختار كثيرون من محققى المتأخرين عدم تعيين التأويل فى شىء معين من الأشياء التى تليق باللفظ ويكلون تعيين المراد بها إلى علمه تعالى ، وهذا توسط بين المذهبين وتلذذ بين المشربين واختار ابن دقيق العيد توسطاً آخر فقال :إن كان التأويل من المجاز البين الشائع سلوكه من غير توقف أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه وإن استوى الأمران فالاختلاف فى جوازه وعدمه مسألة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين . قلت التوقف فيها لعدم ترجيح أحد الجانبين مع أن التوقف مؤيد بقول السلف ومنهم الإمام الأعظم ا هـ .

ويقول فى شرح المشكاة أيضاً : والحاصل أن السلف والخلف مؤولون لإجماعهم على صرف اللفظ عن ظاهره ولكن تأويل السلف إجمالى لتفويضهم إلى الله تعالى وتأويل الخلف تفصيلى لاضطرارهم إليه لكثرة المبتدعين هـ .

وفى (إشارة النبيه فى كشف شبه أهل التشبيه إملاء الشيخ نجم الدين أبى الفتح نصر الله ابن العز بن سعد الله بن نجم الكاتب البغدادي) : وقد تأول العلماء والأدباء والشعراء قديماً وحديثاً ولذلك قول بعضهم :

أقول بالخد خال حين أذكره ... خوف الرقيب وما بالخد من خال

أبكى إلى الشرق إن كانت منازلهم ... يجانب الغرب خوف القيل والقال

ومن قال : (لا أقول بالتأويل ولا أشبه) فقد تأول لأنه إذا عدل عن معنى النزول عنده ومعنى اليمين فى حديث (الحجر الأسود يمين الله فى الأرض) إلى غير ذلك فقد تأول فلا محيص لكم عن التأويل بحال ا هـ .

ويقول العلامة الآلوسى فى تفسيره عند الكلام على الوجه : والتأويل القريب إلى الذهن الشائع نظيره فى كلام العرب مما لا بأس به عندى ، على أن بعض الآيات مما أجمع على تأويلها السلف والخلف والله تعالى أعلم بمراده هـ . وقال أيضاً : وأنا أميل إلى التأويل وعدم القول بالظواهر مع نفى اللوازم فى بعض ما ينسب إلى الله مثل قوله تعالى ﴿ سنفرغ لكم أيها الثقلان ﴾ ، وقوله ﷺ (الحجر الأسود يمين الله فى أرضه فمن قبله أو صافحه فكأنما صافح الله تعالى وقبل يمينه) فأجعل الكلام فيه خارجاً مخرج التشبيه لظهور القرينة ، ولا أقول : الحجر الأسود من صفاته كما قال السلف فى اليمين ا هـ .

وقد عقد ابن المعلم فى كتابه (نجم المهتدى ورجم المعتدى) باباً سرد فيه جماهير المؤولين (فيما يظهر فيه وجه الكلام) من الصحابة والتابعين وغيرهم . (ز)

عم جهلة الناقلين إذ ليس لهم حظ من علوم المعقولات التى يعرف بها ما يجوز على الله تعالى وما يستحيل ، فإن علم المعقولات يصرف ظواهر المنقولات عن التشبيه ، فإذا عدموها تصرفوا فى النقل بمقتضى الحس ، وإليه أشار القاضى (أبو يعلى) بقوله : لا يمتنع أن يحمل التى وطئها الحق تعالى على أصولنا وأنه معنى يتعلق بالذات . وأصولهم على زعمه ترجع إلى الحس .

ولو فهموا أن الله تعالى لا يوصف بحركة ولا انتقال ولا تغير ما بنوا على الحسيات ، والعجب أنه يقر بهذا القول ثم يقول : « من غير نقلة ولا حركة » فينقض ما بنى .

ومن أعجب ما رأيت لهم ما ذكروا عن ابن أبى شيبة أنه قال فى كتاب العرش : إن الله تعالى قد أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش .

قلت : ونحن نحمد الله إذ لم يبخس حظنا من المنقولات ولا من المعقولات، ونبرأ من أقوام شانوا مذهبنا ، فعابنا الناس بكلامهم .

* * *

الحديث الثاني والثلاثون : روى أبو أمامة عن النبى ﷺ أنه قال : « ما تقرب العباد إلى الله تعالى بمثل ما خرج منه » [1] . وهو القرآن وفى حديث عفان أن النبى ﷺ قال : « فضيلة القرآن على

(١) الذى فى الجامع الكبير للسيوطى : (ما تقرب العباد إلى الله بشىء أحب إليه مما خرج منه) ابن السنى عن زيد بن أرطأ عن أبى أمامة .

سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه إن القرآن منه خرج وإليه يعود » والمعنى وصل إلينا من عنده وإليه يعود فيرفع .

* * *

الحديث الثالث والثلاثون : روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الله تعالى قرأ طه ويس قبل أن يخلق آدم بألف سنة فلما سمعت الملائكة قالوا : طوبى لأمة ينزل عليهم ، وطوبى لأجواف تحمل هذا ، وطوبى لألسن تتكلم به .

هذا حديث موضوع يرويه إبراهيم بن المهاجر عن عمر بن حفص وأما عمر بن حفص فقال الإمام أحمد بن حنبل : حرقت أحاديثه وقال يحيى بن معين : ليس بشيء وقال أبو حاتم بن حبان الحافظ : هذا متن موضوع .

* * *

الحديث الرابع والثلاثون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال « إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك »[1] . وفى لفظ أخرجه البخارى أن النبى ﷺ قال « إن الرحم

(١) فى شرح صحيح مسلم للإمام النووى : قال القاضى عياض : الرحم التى توصل وتقطع =

شجنة من الرحمن » .

قال أبو عبيد : الشجنة كالغصن من الشجرة ، ومعنى شجنة أى قرابة مشتبكة كاشتباك العروق ولاشجر تشجن إذا التف بعضها ببعض .

قلت : لا يخلو هذا الحديث من أحد أمرين : إما أن يراد أن الله تعالى يراعى الرحم فيصل من يصلها ويقطع من قطعها ويأخذ لها حقها كما يراعى القريب قرابته كأنه يزيد فى المراعاة على الأجانب أو أن يراد أن الرحم حروف الرحمن فكأنه عظم قدرها بهذا الاسم ويؤكد هذا حديث عبد الرحمن بن عوف عن النبى ﷺ قال « قال الله تعالي أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسماً من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » وقد ورد هذا الحديث بلفظ لم يخرج فى الصحاح « الرحم شجنة من الرحمن تعلق بحقوى الرحمن تقول اللهم صل من وصلنى واقطع من قطعنى) وفى لفظ (الرحم شجنة آخذة بحقو الرحمن) وفى لفظ (لما خلق الله تعالى الخلق قامت الرحم فأخذت بحقو الرحمن فقالت هذا مقام العائذ بك من القطيعة) . وهذه كلها أمثال ترجع إلى ما بيّنّا ، ومعنى تعلقها بحقو

= وتبر إنما هى معنى من المعانى ليست بجسم وإنما هى قرابة ونسب تجمعه رحم والدة ويتصل بعضه ببعض فسمي ذلك الاتصال رحما ، والمعنى لا يتأتى منه القيام ولا الكلام ، فيكون ذكر قيامها هنا وتعلقها ضرب مثل وحسن استعارة على عادة العرب فى استعمال ذلك ، والمراد تعظيم شأنها وفضيلة واصليها وعظيم إثم قاطعيها بعقوقهم . (ز)

الرحمن الاستجارة والاعتصام [١].

قال أبو بكر البيهقى : الحقو الإزار ، والمعنى تتعلق بعزه .

قال ابن حامد : يجب التصديق بأن لله حقواً فتأخذ الرحم بحقوه ، قال : وكذلك نؤمن بأن لله تعالى جنباً لقوله تعالى ﴿ على ما فرطت فى جنب الله ﴾ .

وهذا لا فهم له أصلا ، كيف يقع التفريط فى جنب الذات ، نعوذ بالله من سوء الفهم .

* * *

الحديث الخامس والثلاثون : روى البخارى فى صحيحه [٢].

أن النبى ﷺ قال : « يقول الله عز وجل الكبرياء ردائى ، والعظمة إزارى ، فمن نازعنى فيهما عذبته » .

قال أبو سليمان الخطابى وفى الكلام أن الكبرياء والعظمة صفتان لله تعالى اختص فيهما ، لا يشركه فيهما أحد ولا ينبغى لمخلوق أن يتعاطاهما ، لأن صفة المخلوق التواضع والتذلل ، وضرب الإزار والرداء مثلا ، يقول والله تعالى أعلم : كما لا يشرك الإنسان

---

(١) قال فى النهاية : والحقو فيه مجاز وتمثيل ومنه قولهم : عزت بحقو فلان إذا استجرت به واعتصمت ا هـ وفى أساس البلاغة : لاذ بحقويه إذا فزع إليه .

(٢) يقول العجلونى فى كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس: رواه مسلم وابن حبان وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة والحاكم (بالفاظ متقاربة) ، وممن أخرجه بلفظ الترجمة القضاعى عن أبى هريرة والحكيم الترمذى عن أنس هـ . ولم يذكر البخارى فليحرر .

فى ردائه وإزاره أحد كذلك لا يشركه فى الكبرياء والعظمة مخلوق .

* * *

الحديث السادس والثلاثون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه حين يذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه ، وإن تقرب إلىَّ شبراً تقربت إليه ذراعاً ، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة » .

فذهب القاضى (أبو يعلى) إلى أن لله تعالى نفساً هى صفة زائدة عن الذات .

وهذا قول مبتدع ينوع به التشبيه ، لا يفرق بين الذات والنفس وما المانع أن يكون المعنى : ذكرته أنا ، وقد سبق هذا فى الكلام على الآيات . والتقريب والهرولة توسع في الكلام [(١)]. كقوله تعالى ﴿ والذين سعوا في آيتنا ﴾ لا يراد به المشي .

* * *

الحديث السابع والثلاثون : روى أبو سعيد عن النبى ﷺ أنه قال : « إن الله تعالى جميل يحب الجمال » [(٢)].

---

(١) فى تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة عند الكلام على التقرب والهرولة : ونحن نقول : إن هذا تمثيل وتشبيه وإنما أراد : من أتانى مسرعاً بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه .

٢) أثبت العجلونى فى كشف الخفاء ومزيل الإلباس هذا الحديث وقال رواه أحمد عن أبى ريحانة ، ومسلم والترمذى عن ابن مسعود ، وأبو يعلى والبيهقى عن أبى سعيد ، والطبرانى عن أبى أمامة وابن عمر وجابر ، وابن عدى فى الكامل عن ابن عمر .

قال العلماء : الجميل : المجمل بتحسين الصور والأخلاق والإحسان والذى أراه أن الجميل الذى أوصافه تامة مستحسنة . وقد فسر القاضى (أبو يعلى) بما لا يليق بالحق سبحانه وتعالى فقال : غير ممتنع وصفه بالجمال ، فإن ذلك راجع إلى الذات ، لأن الجمال فى معنى الحسن قال وقد تقدم قوله ﷺ « رأيت ربى فى أحسن صورة » .

* * *

الحديث الثامن والثلاثون : روى القاضى (أبو يعلى) عن عمر بن عبد العزيز قال : إذا فرغ الله تعالى من أهل الجنة والنار أقبل يمشى فى ظلل من الغمام والملائكة ، فيقف على أول درجة فيسلم عليهم فيردون عليه السلام فيقول : سلونى ، فيقولون : ماذا نسأل ، وعزتك وجلالك وارتفاعك في علو مكانك لو أنك قسمت علينا رزق الثقلين لأطعمناهم وسقيناهم ولم ينقص ما عندنا ، فيقول تعالى بلى سلونى فيقولون : نسألك رضاك ، قال تعالى : رضائى أحلكم دار كرامتى ، فيفعل هذا بأهل كل درجة حتى ينتهى إلى مجلسه .

هذا حديث مكذوب به على عمر. وبعد فكيف يثبت لله تعالى صفة بقول عمر ! . قال القاضى (أبو يعلى) : يشهد لحديث عمر قوله تعالى ﴿ يأتيهم الله فى ظلل من الغمام ﴾ ولم يدر أن المعنى يأتيهم الله بظلل من الغمام .

الحديث التاسع والثلاثون : روى عن عائشة رضى الله عنها قالت : سئل رسول الله ﷺ عن المقام المحمود ، قال ﷺ « وعدنى ربى عز وجل بالقعود على العرش » .

هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ .

قال ابن حامد : يجب الإيمان بما ورد به من المماسة والقرب من الحق تعالى لنبيه ﷺ فى إقعاده على العرش ، قال وقال ابن عمر : (وأن له عندنا لزلفى) قال ذكر الدنو منه حتى يمس بعضه . وهذا كذب على ابن عمر ، ومن ذكر تبعيض الذات كفرٌ بالإجماع .

* * *

الحديث الأربعون : روى الدارقطنى من حديث أبى اسحاق عن عبد الله بن خليفة عن عمر رضى الله تعالى عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ فقالت : ادع الله تعالى أن يدخلنى الجنة فعظم الرب عز وجل فقال ﷺ : إن كرسيه وسع السموات والأرض وأن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله .

هذا حديث مختلف جداً وقد رواه أبو إسحاق عن ابن خليفة عن ابن عمر قال : *إذا جلس تبارك وتعالى على الكرسى سمع له* أطيط كأطيط الرحل ، رواه ابن جرير أن عبد الله بن خليفة قال قال رسول الله ﷺ إن كرسيه وسع السموات والأرض وأنه ليقعد عليه فما

يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصبعه فجمعها وإن له لأطيطا كـأطيط الرحل إذا ركب من ثقله . هذا على ضـد اللفظ الأول وكل ذلك من تخليط الرواة وسوء الحفظ والأليق فما يفضل منه مقدار أربع أصابع والمعنى أنه قد ملأه بهيبته وعظمته ، ويكون هذا ضرب مثل لقدر عظمة الخالق جل جلاله وقول الرواة : (إذا قعد) و (إذا جلس) من تغييرهم ومن تعبيرهم بما يظنونه كما قال القائل (ثم استوى على العرش) قعد ، وإنما قلنا هذا لأن الخالق تعالى لا يجوز أن يوصف بالجلوس فيفضل ذلك الشيء لأن هذه صفة الأجسام .

* * *

الحديث الحادى والأربعون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « يقول الله عز وجل يوم القيامة يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت إن الله تعالى يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار » .

انفرد بلفظ الصوت حفص بن غياث وخالفه وكيع وجرير وغيرهما فلم يذكروا الصوت وسئل الإمام أحمد عن حفص قال - كان يخلط في حديثه .

وفى الحديث الصحيح : (إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء كجر السلسلة على الصفا) . وفى حديث ابن مسعود : (إذا تكلم الله بالوحى سمع أهل السماء صلصة كجر السلسلة على الصفا)

وليس فى الصحيح (سمع صوته أهل السماء) .

* * *

الحديث الثاني والأربعون : روى جابر عن النبى ﷺ أنه لما كلم الله موسى يوم الطور كلمه بغير الكلام الذى كلمه به يوم ناداه ، فقال له : يا موسى إنى كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان ولى قوة الألسنة كلها وأنا أقوى من ذلك ، فلما رجع إلى بنى إسرائيل قالوا : صف لنا كلام الرحمن ، قال : لا أستطيع ، قالوا : قرب لنا ، قال : ألم تروا صوت الصواعق التى تقبل بأحلى كلام سمعتموه .

هذا حديث لا يصح ، يرويه على بن عاصم عن الفضل بن عيسى قال النسائي : على بن عاصم متروك الحديث ، وقال يزيد بن هارون : ما زلنا نعرفه بالكذب .

* * *

الحديث الثالث والأربعون : روى القاضى (أبو يعلى) عن حسان بن عطية أنه قال : الساجد يسجد على قدم الرحمن . هذا قول تابعى وهو مثل للقرب من فضل الله تعالى . وأثبت القاضى (أبو يعلى) بهذا وصف قدم وأنه يسجد على قدمه حقيقة لا على وجه المماسة .

* * *

الحديث الرابع والأربعون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى موسى عن النبى ﷺ أنه قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما ، وليس بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن » .

الرائى فى جنة عدن لا المرئى لأنه لا تحيط به الأمكنة .

وقال القاضي (أو يعلى) : ظاهر الحديث أن المرئي فى جنة عدن . وهذا التجسيم المحض . ورداء الكبرياء ما له من الكبرياء والعظمة ، وكأنه إن منعهم فلعظمته وإن شاء كشف لهم ؛ وقد تكلمنا على الوجه فى الآيات وقلنا المراد هو .

* * *

الحديث الخامس والأربعون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله ﷺ : « لما قضى الله تعالى الخلق كتب فى كتابه فهو عنده [1] . فوق العرش إن رحمتى غلبت غضبى » وفى لفظ (سبقت) .

قال القاضى (أبو يعلى) ظاهر قوله (عنده) القرب من الذات .

واعلم أن القرب من الحق تعالى لا يكون بمسافة ، إنما ذلك

---

(١) يقول العلامة العينى فى شرح صحيح البخارى : والعندية ليست مكانية بل هو إشارة إلى كمال كونه مكنونا عن الخلق مرفوعاً عن حيز إدراكهم . (ز)

من صفة الأجسام ، وقد قال تعالى ﴿ مسومة عند ربك ﴾ .

* * *

الحديث السادس والأربعون : روى عن بعض التابعين أنه قال : خلق الله آدم بيده، وكتب التوراة بيده ، وغرس الفردوس بيده .

هذا لا يثبت عن قائله ، وقد تكلمنا على قوله تعالى ﴿ لما خلقت بيدى ﴾ .

* * *

الحديث السابع والأربعون : روى ابن عباس عن النبى ﷺ فى قوله تعالى ﴿ وسع كرسيه السموات والأرض ﴾ أنه قال : كرسيه موضع قدمه ، والعرش لا يقدر قدره .

رواه جماعة من الأثبات فوقفوه على ابن عباس ، ورفعه منهم شجاع بن مخلد [(١)]. فعلم بمخالفته الكبار المتقنين أنه قد غلط . ومعنى الحديث أن الكرسى صغير بالإضافة إلى العرش كمقدار كرسى يكون عند سرير قد وضع لقدمى القاعد على السرير ، قال الضحاك : الكرسى الذى تجعل عليه الملوك أقدامهم ، وقال القاضى (أبو يعلى) : القدم قدم الذات وهى التى يضعها فى النار .

---

(١) يقول الحافظ ابن حجر فى (تقريب التهذيب) : شجاع بن مخلد الفلاس أبو الفضل البغوى نزيل بغداد صدوق وهم فى حديث واحد رفعه وهو موقوف فذكره بسببه العقيلى فى الضعفاء . (ز)

الحديث الثامن والأربعون : حديث العباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : فوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض ، والله تعالى فوق ذلك .

هذا الحديث لا يصح ، تفرد به يحيى بن العلاء ، قال الإمام أحمد : هو كذاب يضع الحديث .

وقد تكلمنا فى الفوق فى قوله تعالى ﴿ وهو القاهر فوق عباده ﴾ .

قال القاضى (أبو يعلى) : المراد من الفوقية استواء الذات على العرش .. وهذا الكلام أصله التجسيم .

* * *

الحديث التاسع والأربعون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى يكون مثل الجبل » .

وفى لفظ أخرجه مسلم (فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل) .

قال العلماء : هذا خطاب للناس بما يعلمونه ويفهمونه من

الأخذ والتربية والنمو ، ولما كان التناول باليد والقبض بالكف خاطبهم بما يعقلون ، وإنما جرى ذكر اليمين لأنها مرصدة لما عز من الأمور ؛ ومعنى التربية المضاعفة .

* * *

الحديث الخمسون : روى البخارى ومسلم فى الصحيحين من حديث أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه ذكر الدجال فقال : « ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور » [(١)].

قال العلماء : إنما أراد تحقيق وصفه بأنه لا يجوز عليه النقص ، ولم يرد إثبات جارحة ، لأنه لا مدح فى إثبات جارحة ، بل كأنه قال : إلا ربكم ليس بذى جوارح يتسلط عليها النقائص ،

(١) لفظ الحديث فى صحيح البخارى (أن الله ليس بأعور ، وأشار بيده إلى عينه وأن المسيح الدجال أعور عين اليمنى) وقد قال الحافظ ابن حجر : إن الإشارة إلى عينه ﷺ إنما هى بالنسبه إلى عين الدجال فإنها كانت صحيحة مثل هذه ثم طرأ عليها العور لزيادة كذبه فى دعوى الإلهية وهو أنه كان صحيح العين مثل هذه فطرأ عليها النقص ولم يستطع دفع ذلك عن نفسه ا هـ . وقال الفخر الرازى فى (أساس التقديس) عند الكلام على هذا الحديث : وأما هذا الخبر فمشكل لأن ظاهره يقتضى أن النبى ﷺ أظهر الفرق بين الإله تعالى وبين الدجال بكون الدجال أعور وكون الله تعالى ليس بأعور وذلك بعيد ، وخبر الواحد إذا بلغ هذه الدرجة فى ضعف المعنى وجب أن يعتقد أن الكلام كان مسبوقاً بمقدمة لو ذكرت لزال هذا الإشكال ، أليس راوى هذا الحديث هو ابن عمر ثم إن المشهور أن ابن عمر لما روى حديث (إن الميت ليعذب ببكاء أهله) طعنت عائشة رضى الله عنها فيه وذكرت أن هذا الكلام من الرسول كان مسبوقاً بكلام آخر واحتجت على ذلك بقوله تعالى ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ لو حكى لزال هذا الإشكال فكذا هاهنا أنه من البعيد صدرور مثل هذا الكلام من الرسول ا هـ .

وهذا مثل نفى الولد عنه لأنه يستحيل عليه التجزى . ولو كانت الإشارة إلى صورة كاملة لم يكن فى ذلك دليل على الإلهية ولا القدم ، فإن الكامل فى الصورة كثير .

* * *

الحديث الحادى والخمسون : روى البخارى فى أفراده من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ : « إنَّ الله تعالى قال : ما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأكره مساءته » .

قوله (كنت سمعه وبصره) مثل ، وله أربعة أوجه :

(أحدها) : كنت كسمعه وبصره فهو يحب طاعتى كما يحب هذه الجوارح .

(الثانى) : أن كليته مشغولة بى فلا يصغى إلى ما يرضينى ولا يبصر إلا عن أمري .

(الثالث) : أنى أحصل له مقاصده كما ينالها بسمعه وبصره ويده اللواتى تعينه ، وأما التردد فخطاب لنا بما نعقل .

* * *

الحديث الثاني والخمسون : روى جبير بن مطعم قال : أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال : يا رسول الله جهدت الأنفس وجاع العيال وتهتكت الأموال وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا فأستشفع بالله عليك . فقال رسول الله ﷺ « ويحك تدرى ما تقول وسبح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجهه أصحابه ثم قال ﷺ إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك ويحك أتدرى ما الله ، إن عرشه على سمواته هكذا ـ وقال بأصابعه مثل القبة ـ وأنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب .

ومعنى قوله (أتدرى ما الله) أى أتدرى ما عظمة الله تعالى وجلاله ومعنى يئط به أى يعجز عن عظمته وجلاله إذ كان معلوماً أن أطيط الرحل بالراكب إنما يكون لقوة ما فوقه وعجزه عن احتماله فقرب بهذا النوع من عنده معنى عظمة الله وجلاله ليعلم أن الموصوف بعلو الشأن لا يجعل شفيعاً إلى من هو دونه فى القدر ، وقد ذكرنا فيما تقدم عن القاضى (أبى يعلى) : يئط من ثقل الذات ، وهذا صريح التجسيم .

* * *

الحديث الثالث والخمسون : روى أبو هريرة عن النبى ﷺ أنه قرأ : (إنه كان سميعاً بصيراً) فوضع إصبع الدعاء وإبهامه على عينيه وأذنه .

قال العلماء : أراد بهذا تحقيق السمع والبصر منه فأشار إلى الجارحتين اللتين هما السمع والبصر ، لا أن لله سبحانه وتعالى جارحة .

* * *

الحديث الرابع والخمسون : روى أبو الدرداء عن النبى ﷺ أنه قال : إن الله عز وجل ينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل فيفتح الذكر فى الساعة الأولى ، فيمحو ما يشاء ويثبت ، ثم ينزل فى الساعة الثانية إلى جنة عدن وهى داره التى لم يسكنها غيره وهى مسكنه ثم يقول طوبى لمن دخلك ، ثم ينزل فى الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكته فيقول بعزتى .

هذا الحديث يرويه زيادة بن محمد الأنصارى قال البخارى : وهو منكر الحديث وقال أبو حاتم بن حبان : يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك ، ونقول : على تقدير الصحة إنها مضافة إليه كما أضيف البيت إليه فهذا بيته وذاك مسكنه ، وإنما قلت هذا لأن السكنى مستحيلة فى حقه سبحانه وتعالى .

* * *

الحديث الخامس والخمسون : روى أبو أمامة عن النبى ﷺ

أنه قال : « وعدنى ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثياته عز وجل » .

الحثية : ملء الكف ، والمراد التقريب بما نعقل ، لا حقيقة الحثية .

* * *

الحديث السادس والخمسون : روى أبو أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال : إن الله يجلس يوم القيامة على القنطرة بين الجنة والنار .

يرويه عثمان بن أبى عاتكة ، وعن يحيى : ليس بشىء .

* * *

الحديث السابع والخمسون : روى القاضى (أبو يعلى) عن محمد بن كعب قال : كان الناس إذا سمعوا القرآن من فى الرحمن لم يسمعوه قط .

قال القاضى (أبو يعلى) : ولا يمتنع أن يطلق الفم عليه .

قلت : واعجباً يعنى (فى) الرحمن فمه ، فيثبت لله تعالى صفة بقول تابعى لا تصح الرواية عنه ، هذا من أقبح الأشياء .

فأما الحديث الذى قد سبق عن أبى أمامة عن رسول الله ﷺ أنه قال « ما تقرب العباد إلىَّ بمثل ما خرج منى » فالمعنى : ظهر

عنه ، ولا يجوز أن يظن أنه كخروج جسم من جسم .

* * *

الحديث الثامن والخمسون : روينا عن سهل بن سعيد عن رسول الله ﷺ « دون الله تعالى سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ، وما من نفس تسمع شيئاً من حسن تلك الحجب إلا زهقت .

هذا حديث لا أصل له .

* * *

الحديث التاسع والخمسون : رواه أنس أن النبى ﷺ قال : إن لله تعالى لوحاً أحد وجهيه درة والآخر يا قوتة ، قلمه النور فيه يخلق وبه يرزق ، وبه يحيى وبه يميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء فى يوم وليلة .

هذا حديث موضوع يرويه محمد بن عثمان ، وهو متروك الحديث .

* * *

الحديث الستون : روى جابر عن النبى ﷺ أنه قال : « إذا رأيتم الريح فلا تسبوه فإنها من نفس الرحمن تأتى بالرحمة وتأتى بالعذاب ، فاسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها » .

النفس بمعنى التنفيس عن المكروب [١] . ومثله ما روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إنى لأجد نفس ربكم من جهة اليمن » يعنى تنفيسه عن الكرب بنصرة أهل المدينة إياى ، والمدينة من جانب اليمن وهذا شىء لا يختلف فيه المسلمون .

وقال ابن حامد : رأيت بعض أصحابنا يثبتون لله تعالى وصفاً فى ذاته بأنه يتنفس ، قال : وقالوا الرياح الهابة مثل العاصف والعقيم والجنوب والشمال والصبا والدبور مخلوقة إلا ريحاً من صفاته هى ذات نسيم خيالى وهى من نفس الرحمن .

قلت على من يعتقد هذا اللعنة لأنه يثبت جسداً مخلوقاً ، ما هؤلاء بمسلمين .

قال المصنف : ولما علم بكتابى هذا جماعة من الجهال لم يعجبهم لأنهم ألفوا كلام رؤسائهم المجسمة فقالوا : ليس هذا المذهب .

قلت : ليس مذهبكم ولا مذهب من قلدتم من أشياخكم ، فقد نزهت مذهب الإمام أحمد ونفيت عنه كذب المنقولات وهذيان المقولات غير مقلد فيما أعتقده ، وكيف أترك بهرجاً وأنا أنقده وقلت :

---

(١) يقول الزمخشرى فى أساس البلاغة : ومالى نفَس أى فرج . وقال ابن قتيبة : وقد فرج الله عن نبيه ﷺ بالريح يوم الأحزاب ، قال تعالى ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ .

سبقت بحمد الله من كان من قبلي فقل للذى يرجو لحاقى على مهل
وإنكم لــو تنقــصــون عتابكـــم لعز على التفتيش أن تجدوا مثلى

ثم قصيدة مطولة وهى :

حمدت إلهى كيف لا وله الفضــل كما قد تولانى فذلت لــى السبل
وأخرجنى من بين أهلى مفهمـا وعلمنى علماً به قيمتى تغلـو
وحـركنى للمكرمات أحـوزهـا فهمة نفسـى دائماً أبداً تعلـو
وألهمنى بالعلم حتـى ملكتـه فصار مرير الصبر عند فمى يحلـو
وقد زاد عشقى للعلوم فأصبحت كتمثال ليلى عند قيس فما يسلـو
فما من علوم بثها الله فـى الورى إلى خلقه إلا ولي معها وصـل
وصنفت مـا قد صنف النـاس جنسه فيا قاصدى الإنصاف لى ميزوا وأبلوا
ولى من بديهات الكلام عجائب تكر عليهم كلما طولت تحلو
وقد قادنى علمى إلى الزهد فى الدنا وما جمعا إلا لعبد له فضـل
نعـم وتقـــاة الله أشـــرف خلــة ولا خير فى قول إذا ضـــيع الفعل
قنوعى بما يكفى يقينى من الأذى وبعـد يقينـى بالمقاديـر لا ذل
وأحسن من علم ترامى بأهله إلى مين مخلوق يماثله الجهل
وأسكن قلبى حب كل محقق عشقت كما قد تعشق الأعين النجل

وبغـــداد دار ليس يغـــبن أهلهـــا　　وما حبـــهم إلا لمـــن ماله شكـــل

وكل البلاد أشجنتهـــا فضائلـــى　　أقر بفضلى الدين والحزن والسهل

وذكـــرى وراء النهر بالفضل وافر　　وفى المغرب الأقصى وما بلغت إبل

* * *

ولما نظـــرت فى المذاهـــب كلـــها　　طلبت الأسدّ فى الصواب وما أغلو

فألفيت عـــند السبر قـــول ابن حنبل　　يزيد على كـــل المذاهـــب بل يعـــلو

وكل الـــذى قـــد قالـــه فمشـــيد　　بنقل صحيح والحديث هو الأصـــل

وكان بنقل العلم أعرف من روى　　يقوم بأنباء وإن شانه عضـــل

* * *

ومذهـــبه أن لا يشـــبه ربـــه　　ويتبع فى التسليم من قد مضى قبل

فقام له الحساد من كل جانب　　فقام على رجـــل الثبـــات وهـــم زلوا

وكان له أتباع صدق تتابعوا　　فكم أرشدوا نحو الهدى ولكم دلوا

وجـــاءك قـــوم يدعـــون تمذهـــباً　　بمذهبه ما كل فرع له أصـــل

فلا فى الفروع يثبتـــون لنصره　　وعندهمُ عـــن فهـــم مـــا قـــاله شـــغل

إذا ناظـــروا قـــامـــوا مقـــام مقاتـــل　　فواعـــجباً ـ والقـــوم كلهـــمُ عـــزل

قياسهمُ طـــرداً إذا صـــدروا بـــه　　وهم من علـــوم النـــقل أجمعـــها عطل

إذا لم يكن فى النقل صـاحب فطنة تشابهـت الحـيات وانقطع الحـبل

ومالوا إلى التشبيه أخذاً بصورة الـ ـذى نقلوه فى الصفاتِ وهم غفل

وقالوا الذى قلناه مـذهـب أحـمـد فمال إلى تصديقهم من به جـهـل

وصـار الأعـادى قـائلين لكنا مشبهة قد ضرنا الصحـب والخـل

فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم ومـذهبه التنزيه لكن هم اختلوا

لعمرى لقد أدركت منهم مشايخاً وأكثر من أدركته ما لـه عقل

ومـا زلت أجلوا عنهمُ كل خلة من الاعتقاد الرذل كى يجمعِ الشمل

تسـمـوا بألقـاب و لا علم عندهـم فوائدهم لا حرم فيها ولا حـل

مـوائدهم لا يلحق الخل بقلهـا وإن شئت لا خل عليها ولا بقـل

* * *

وأكثر حساد لـنا أهـل مذهـبى فلو قـدروا أفـتوا بأن دمـي حل

تمنوا بجـهـل أن تزل بـى النـعل ولم تمش فى مجد بمثلى لهم رجل

ومنـذ مضى شيخ الجماعة أحمد إلى الآن لـم يوجـد لعالمكم مثل

لقد بات عنـدى ألف ألف يقـوموا سحابة وعظى كلهم صـيب وبـل

وروضات علمى كلها تمـرح الجـنا وبسـتانهـم إذ ما تأملـتـه أثل

وكيـف ترى تبرى الحسـود وداؤه إذا سئل الطـب الخبـير به يسـلو

تفرد بالبغـض القبيـح مخالف أليس اجتماع الناس لى شاهـد عدل

* * *

تم كتاب دفع شبه التشبيه للإمام ابن الجوزى

جاء فى آخر (مجلس فى نفى التشبية من أمالى الحافظ أبى القاسم على بن الحسن بن هبة الله الشافعى) : أنشدنا أبو عبد الله محمد بن الحسن بن منصور المؤمل لنفسه :

الله أكبر أن يكـــون لذاتــه	كيفيــة كـــذوات مخلوقاتــه
أو أن تقاس صفاتنا فى كلمـــا	نبديه من أفعالنا بصفاتـــه
تبا لذى سفـــه يقــول بأنــه	جسم وأن سماتنا كسماتـــه
لبـديع صنعتـه عليـه شـواهد	تبدو على صفحات مصنوعاتـه
ذرا الأنــام بقــــدرة أزلــية	وأراده فيهــم لتقديــراته
ورأى بعين العلم ما تأتى بــه	لمحات أعـينهم وما لم تاته

* * *

الفهرس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ١٥٢٧٤

من تراث الكوثري

